

الإمامان الحسن والحسين

إعداد
أحمد عزوز الفرج

الناشر
المكتبة المحمودية
ت: ٥١٤٥٣٢٠٠ - ٥١٠٣٠٦٧

الإمامان
الحسن والحسين

رضي الله عنهما

إعداد

أحمد عزوز أحمد الفرخ

الناشر

المكتبة المحمودية

١٢٧ ميدان الأزهر - ت : ٥١٠٣٠٦٧

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت : ٥١٤٥٣٢٠






الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

رقم الإيداع : ٢٠٠٥/٨٢٦٨



الناشر

المكتبة المحمودية

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت : ٥١٤٥٣٢٠






تقديم

الحمد لله الحق المبين ، العدل الرؤوف الرحيم ، أرسل رسوله الصادق الوعد الأمين بالهدى والدين القيم العظيم أحـمده جل في علاه مالك الملك والملكوت له الحكم يفعل ويحكم ما يريد كما نحمده سبحانه وتعالى الذى أكرم المسلمين برسالة السماء ودين الحق ببعـثة نبي الرحمة سيدنا محمد ﷺ قـال تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ .

أما بعد ..

فإن صاحب هذه السيرة العطرة خامس الخلفاء الراشدين وهذه حقيقة تاريخية للأسف يغفل عنها الكثـيرون ، فهو الخليفة الخامس بعـد أبيه الإمام الأعظم أسد الله الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد مكث في الخلافة ستة أشهر حتى تنازل عن الخلافـة برغبـته وليس برهبة ابن آكلة الأكـباد وذلك حـقنًا للدماء وهذا منتهى الرقي الإيمانى .

فإليك أيها الخليـفة الأمير أمير المسلمين وخليفـتهم . . . كل الحب والامتنان وجـزاك الله سبـحانه وتعـالى ورسوله ﷺ كل خـيـر في حقنك لدمـاء المسلمين وسيكون الحكم يوم القـيامة يوم لا ينفع مـال ولا بنون بذلك هو سبحـانه وتعالى وسيكون جدك الأعظم محمد ﷺ شفيعًا لك وكل المسلمين .

فهذا أعـزائى القراء هو الحسن بن علي رضى الله عنه سنتـحدث عنه إن شاء الله في الصفحات القادمة سائلين الله العون والمغفرة .

ثم نتحدث عن أخيه الحسين رضى اللـه عنه أبي الشهداء فإذا كان عم رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب أسد الله هو سيد الشهداء .

فإن حفيـد الرسول ﷺ وحفيد حمزة بن عـبد المطلب الإمام الحسين بن علي رضى الله عنهما هو أبو الشهداء .

فكيف ... ولماذا ... أرجو أن نتنبه ونتنبه لكيف ولماذا ... ؟؟ !!

أى عقل وقلب بشري مهما أوتى من الصبر والقوة والصلابة والشجاعة والإقدام والفروسية .. وإلى ما في هذا القبيل من الكلمات أن يرى أهل بيته يُقتلوا ويذبحوا ويمثل بهم .

أترك الإجابة !!

لأن قلبي قبل قلمي توقف لبرهة ...

بل كادا أن يتوقفا نهائيًا من تلك المذبحة البشرية ألستم معى بحق أن الإمام الحسين رضى الله عنه هو :

« أبو الشهداء »

بقلم
سليل قبائل الأنصار الخزرج
الأنصاري الخزرجى / أحمد عزوز أحمد الفرخ
الإسكندرية

❊ ❊ ❊

الحسن بن علي رضي الله عنهما سبط النبي ﷺ وريحانته

هو أمير المؤمنين الخليفة الخامس الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف ، الإمام السيد سبط رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة أبو محمد القرشي الهاشمى المدني الشهيد ، وأمه سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ ، ويكنى أبا محمد - على الرغم من أنه لم يعقب ولدًا بهذا الاسم - .

* مولده :

ولد الحسن بن علي رضى الله عنهما في النصف من رمضان من العام الثالث للهجرة ، وهو أصح الأقوال في مولده . وتقع تقريبًا في الثامن والعشرين من فبراير لعام ٦٢٥ م ، وحين ولد حنكه الرسول ﷺ بريقه ، ثم عق عنه جده ﷺ بكبش (وضحى جده كمرسوم من مراسيم الاحتفال به بأضحية فرحة به) . وقام النبي ﷺ جده برفع الأذان ، ولما ولد الحسن جاء رسول الله ﷺ فقال: «أرونى ابنى ما سميتموه » . فقال الإمام على رضى الله عنه : حرب، قال : «بل هو حسن » . وكان أباه سماه حربًا ؛ لأنه كان يحب الحرب (وهذا جريًا على عادة العرب في أن يسموا أولادهم لأعدائهم فيختاروا لهم الأسماء التى تحمل معنى الشدة والصلابة) .

ولكن النبي ﷺ غير هذا المفهوم وطلب من المسلمين أن يختاروا لأولادهم الأسماء الحسنة التى تحمل معنى التفاؤل والرحمة ، وكان يغير أسماء أصحابه التى لا تحمل هذا المعنى إلى أسماء أخرى .

فلما ولد الحسن أراد أن يسميه حربًا فسماه رسول الله ﷺ الحسن ، ولم يكن هذا الاسم معروفًا في البيئة العربية فهو أول من سمى به ، وكانت السيدة أم الفضل زوجة العباس رضى الله عنها قبل ميلاد الحسن قد رأت رؤيا أفزعتها فقصتها على النبي ﷺ .

قالت : رأيت كأن عضوًا من أعضائك قطع وألقى في بيتى .

فقال لها : « أبشرى ستضع فاطمة ابنًا ترضعيه بلبن ابنك قثم » ، فولدت السيدة فاطمة الحسن .

فلما ولدت السيدة فاطمة الزهراء حسنًا قالت : يا رسول الله ألا أعق عن ابنى بدم قال : « لا ، لكن احلقى رأسه وتصدقى بوزن شعره فضة على المساكين» ففعلت ، ووزنت فاطمة شعر حسن وحسين وأم كلثوم فتصدقت بزنته فضة . فلما ولدت الآخر سماه حسينًا ، وقال : « هذا أحسن من هذا » فشق له من اسمه ، فلما ولد الحسين أراد الإمام علي كرم الله وجهه أن يسميه حربًا ، فسماه الرسول ﷺ الحسين ، وقال : إننى سميت ابنى هذين باسم ابنى هارون عليه السلام شبر وشبير ، وكذلك تسمى المحسن بن علي بن أبى طالب تيمنًا بمشبر .

* ألقابه :

وللحسن رضى الله عنه ألقاب كثيرة منها : التقى ، الطيب ، الزكى ، الولي ، السبط ، أمير المؤمنين . وأشهرها : السبط . أما لقب السيد فقد استحقه بناء على حديث جده النبي ﷺ : « إن ابنى هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » .

وأما أمير المؤمنين فقد استحقه ؛ لأنه تولى الخلافة بعد استشهاد أبيه ومكث خليفة للمسلمين فترة حتى تنازل عنها راضيًا طائعًا حقنًا لدماء المسلمين ، وقطعًا لمادة الخلاف التى ثارت بينهم لفترة طويلة .

حبيب النبي ﷺ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة :

طفولة سيدنا الحسن رضى الله عنه :

لم ير الحسن رضى الله عنه الرسول ﷺ سوى سبعة أعوام أى : أنه عاش طفولته مع الرسول ﷺ لذلك لم يحفظ عن جده أحاديث وعن أبيه وأمه ، حدث عنه ابنه الحسن بن الحسن، الملقب بالحسن المثنى وأنجب الحسن المثلث (أى الثالث) الذى كان حفيده الحسين بن علي بن الحسن المثلث الذى ثار على العباسيين في عهد الهادى الخليفة العباسى وانهزم في موقعة فخ وكان السبب الرئيسى للحرب المستعرة عليه هو ربط الدواب في المسجد النبوي بالمدينة المنورة ، وكانت سبب ثورته هو رفضه أن يقام على ابن عمه - أبا الزفت - الحسن بن محمد بن إبراهيم الحد في شرب الخمر ، سمى بذلك لسوء أعماله .

وكان والي المدينة المنورة هو عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من ناحية الأب ، أما أمير المؤمنين عمر بن عبد

العزيز حفيده من جهة ابنته فكانت أمه ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . وسويد بن غفلة وأبو الحوراء السعدى والشعبى وهبيرة بن يريم وأصبغ بن نباتة والمسيب بن نجبة وكانوا من فقهاء المدينة المنورة ، حتى أن الأحاديث الكثيرة التى وردت في فضله وفي أخيه وهم أطفال. فيقول أبوهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: زارنا رسول الله ﷺ فبات عندنا والحسن والحسين نائمان فاستسقى الحسن فقام رسول الله ﷺ إلى قربة وسقاه فتناول الحسين ليشرب فمنعه وبدأ بالحسن ، فقالت فاطمة : يا رسول الله كأنه أحبهما إليك قال : « لا ولكن هذا استسقى أولاً » ثم قال : « إنى وإياك وهذين يوم القيامة في مكان واحد وأحسبه » .

(وهذه العبارة يقصد بها الرسول هو حبه الشديد لهما وخوفه عليهما حتى من أمهم فاطمة الزهراء حتى أنه يحث على العناية بهما) .

وكان الحسن هو وأخوه الحسين رضى الله عنهما حبيبي النبي ﷺ وقد وردت في ذلك آثار كثيرة منها :

- قال أسامة بن زيد كان النبي ﷺ يأخذنى والحسن ويقول : « اللهم إنى أحبهما فأحبهما » .

وروى كذلك عنه خرج رسول الله ﷺ ليلة وهو مشتمل على شيء قلت ما هذا فكشف فإذا حسن وحسين على وركيه فقال : « هذان ابناي وابنا بنتي اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

- وقد قال البراء بن عازب كذلك أن النبي ﷺ قال للحسن : « اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من يحبه » .

- وقال أبو هريرة أن النبي ﷺ قال للحسن : « اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من أحبه » ويزيد أبو هريرة في الحديث بأنه إذا رأى الحسن دمعت عيناه.

ويروى أبو هريرة أيضًا : (كنت مع النبي ﷺ في سوق من أسواق المدينة المنورة ، فانصرف وانصرفت معه ، فجاء إلى فناء فاطمة الزهراء فنادى فلم يجبه أحد ، فجاء الحسن بن علي ، قال أبو هريرة : ظننا أن أمه حبسته لتجعل في عنقه السخاب - قلادة تتخذ من قرنفل ومحلب ليس فيها من اللؤلؤ شيء - ثم قال الرسول ﷺ للحسن : « اللهم إنى أحبه فأحبه وأحب من أحبه » .

وعنه رضى الله عنه قال : كنا مع النبي ﷺ في صلاة العشاء فكان إذا سجد ركب الحسن والحسين على ظهره فإذا رفع رأسه رفعهما رفعًا رفيقًا ثم إذا سجد

عادا فلما صلى قلت ألا أذهب بهما إلى أمهما قال : فبرقت برقة فلم يزالا في ضوئها حتى دخلا على أمهما .

- وعن أبي بكرة رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه وهو يقول : « إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين » .

- وعن يعلى بن مرة قال : جاء الحسن والحسين يسعيان إلى رسول الله ﷺ فجاء أحدهما قبل الآخر فجعل يده في رقبته ثم ضمه إلى إبطه ثم قبل هذا ثم قبل هذا وقال : « إنى أحبهما فأحبهما » ثم قال : « أيها الناس إن الولد مبخلة - أى : أنهم يشجعون على الحرص - مجبنة - أى: أنهم يشجعون على الجبن - مجهلة - أى : أنهم يشجعون على الغفلة - » وهم كناية عن الفتنة للإنسان المسلم .

- وعن أنس بن مالك سئل رسول الله ﷺ : أى أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » وكان يشمهما ويضمهما .

- وعن حذيفة بن اليمان سمع النبي ﷺ يقول : « هذا ملك لم ينزل قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم علي ويبشرنى بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

- عن أم سلمة أن النبي ﷺ جلل حسنًا وحسينًا وفاطمة بكساء ، ثم قال : « اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا » .

- عن شداد قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وهو حامل حسنًا أو حسينًا فتقدم فوضعه ثم كبر في الصلاة فسجد سجدة أطالها ، فرفعت رأسى فإذا الصبي على ظهره فرجعت في سجودى فلما قضى صلاته قالوا : يا رسول الله إنك أطلت قال : « إن ابني ارتحلنى فكرهت أن أعجله حتى يقضى حاجته » .

قلت : أين الفقيه المتنطع عن هذا الفعل - أى أن الرسول بعظمته ومكانته السامية رق قلبه أمام لعب طفليه فأطال السجود في الصلاة حتى لا يفزعهما - .

- عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يمشي على أربع وعلى ظهره الحسن والحسين وهو يقول : « نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما مسروح لين » ، وعنه رضى الله عنه قال النبي ﷺ للحسن : « إن ابني هذا سيد يصلح الله به فئتين من المسلمين » .

- عن ابن عباس قال : خرج رسول الله ﷺ حامل الحسن على عاتقه فقال

رجل : يا غلام نعم المركب ركبت ، فقال النبي ﷺ : « ونعم الراكب » .

– عن المقدام بن معد يكرب (عم الأشعث بن قيس) قال : قال رسول الله ﷺ : « حسن منى والحسين من علي » .

– عن معاوية بن أبى سفيان قال : رأيت رسول الله ﷺ يمص لسانه أو شفتى الحسن وإنه لن يعذب لسان أو شفتان مصهما رسول الله ﷺ .

– كما قال اتحد الحسن والحسين عند رسول الله ﷺ فجعل يقول : « هى يا حسن خذ يا حسن » فقالت عائشة : تعين الكبير قال : « إن جبريل يقول : خذ يا حسين شيبان » .

كما يذكر بعض الرواة كان يخطب على المنبر فدخل الحسن والحسين المسجد النبوي يتعثران في خطاهما بغية الوصول إلى جدهما الرسول ﷺ فنزل لهما من المنبر وأخذهما وأجلسهما بجواره على المنبر وقال : « صدق الله العظيم : ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ » .

* قصة المباهلة :

في عهد الرسول ﷺ حدثت قصة المباهلة وهى كالتالى :

قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ، ستون راكبًا ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، وفي الأربعة عشر منهم ثلاثة نفر إليهم يئول أمرهم :

العاقب : أمير القوم وذو رأيهم ، وصاحب مشورتهم ، والذى لا يُصدرون إلا عن رأيه ، واسمه **عبد المسيح** .

والسيد : لهم ثمالهم أى : هو الذى يقوم بأمرهم وشئونهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم ، واسمه **الأيهم** .

وأبو حارثة بن علقمة : أحد بنى بكر بن وائل ، أسقفهم وحبرهم وإمامهم ، وصاحب مدارسهم ، وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ، ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم ، فكانت ملوك الروم من النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه ، وبنوا له الكنائس ، وبسطوا عليه الكرامات ، لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم .

فلما رجعوا إلى رسول الله ﷺ من نجران ، جلس أبو حارثة على بغلة له موجهًا إلى رسول الله ﷺ وإلى جنبه أخ له ، يقال : كرز بن علقمة فعثرت بغلة أبى حارثة ، فقال كرز : تعس الأبعد ، يريد رسول الله ﷺ فقال له أخوه

أبو حارثة : بل أنت تعست ، فقال كرز : ولم يا أخى ؟ فقال أبو حارثة : والله إنه للنبي الذى كنا ننتظر ، فقال له كرز : ما يمنعك منه وأنت تعلم هذا ؟ قال : يمنعنى ما صنع بنا هؤلاء القوم ، شرفونا ومولونا وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافه ، فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى ، فأضمر على هذا القول أخوه كرز بن علقمة أسره في نفسه ، حتى أسلم بعد ذلك ، وبلغنى أن رؤساء نجران كانوا يتوارثون كتابًا عندهم ، فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة إلى غيره ، ختم على تلك الكتب خاتمًا مع الخواتم التى كانت قبله ولم يكسرها ، فخرج الرئيس الذى كان على عهد النبي ﷺ يمشى فعثر ، فقال له ابنه : تعس الأبعد ! يريد النبي ﷺ فقال أبوه : لا تقل ذلك ، فإنه نبي ، واسمه في الوضائع ، يعنى الكتب .

فلما مات لم تكن لابنه همة إلا أن شد فكسر الخواتم ، فوجد فيها ذكر النبي ﷺ فأسلم فحسن إسلامه وحج ، وهو الذى يقول :

إليك تعدو قلقًا وضينها[1] معترضًا في بطنها جنينها

مخالفة دين النصارى دينها

(أى أن كتب النصارى المحرفة لم تعدو سوى كتب فقيرة بالنسبة لرهبانها أى حملتها) .

لما قدموا على رسول الله ﷺ المدينة ، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات - جبب وأردية -، في جمال رجال بنى الحارث بن كعب ، قال : يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ يومئذ : ما رأينا وفدًا مثلهم ، وقد حانت صلاتهم ، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون ، فقال رسول الله ﷺ : « دعوهم » .

فصلوا إلى المشرق ، فكلم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والأيهم السيد ، وهم من النصرانية على دين الملك ، مع اختلاف من أمرهم ، يقولون : هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة ، وكذلك قول النصرانية ، فهم يحتجون في قولهم : هو الله : بأنه كان يحيى الموتى ، ويبرىء الأسقام ، ويخبر بالغيوب ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ، ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا ، وذلك كله بأمر الله تبارك وتعالى ﴿ ولنجعله آية للناس ﴾ ويحتجون في قولهم : إنه ولد الله : بأنهم يقولون : لم

---

(١) الوضين : الحزام ، حزام الناقة .

يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد ، وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله ويحتجون في قولهم : إنه ثالث ثلاثة : بقول الله : فعلنا ، وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا ، فيقولون : لو كان واحدًا ما قال إلا فعلت ، وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومريم ، ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن . فلما كلمه الحبران ، قال لهما رسول الله ﷺ : أسلما ، قالا : قد أسلمنا ، قال: إنكما لم تسلما فأسلما ، قالا : بلى ، قد أسلمنا قبلك ، قال : كذبتما ، يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدًا ، وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخنزير ، قالا : فمن أبو المسيح يا محمد ؟ فصمت عنهما رسول الله ﷺ فلم يجبهما فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ، واختلاف أمرهم كله ، صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها فقال : ﴿الٓمٓ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ . فافتتح السورة بتنزيه نفسه عما قالوا : وتوحيده إياه بالخلق والأمر ، لا شريك له فيه ، ردًا عليهم ما ابتدعوا من الكفر ، وجعلوا معه من الأنداد ، واحتجاجًا بقولهم عليهم في صاحبهم ، ليعرفهم بذلك ضلالتهم ، فقال : ﴿الٓمٓ * اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ ليس معه غيره شريك في أمره ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الحى الذى لا يموت ، وقد مات عيسى وصُلب في قولهم ، والقيوم : القائم على مكانه من سلطانه في خلقه لا يزول ، وقد زال عيسى في قولهم عن مكانه الذى كان به ، وذهب عنه إلى غيره . ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أى : بالصدق فيما اختلفوا فيه .

﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ التوراة على موسى ، والإنجيل على عيسى ، كما أنزل الكتب على من كان قبله ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ أى الفصل بين الحق والباطل فيما اختلف فيه الأحزاب من أمر عيسى وغيره .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ أى أن الله منتقم ممن كفر بآياته ، بعد علمه بها ، ومعرفته بما جاء منه فيها .

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ أى قد علم ما يريدون وما يكيدون وما يضاهون بقولهم في عيسى ، إذ جعلوه إلهًا وربًا ، وعندهم من علمه غير ذلك ، غرَّة بالله ، وكفرًا به .

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أى قد كان عيسى ممن صُور في الأرحام ، لا يدفعون ذلك ولا ينكرونه ، كما صُور غيره من ولد آدم ، فكيف يكون إلهًا وقد كان بذلك المنزل . ثم قال تعالى إنزاهًا لنفسه ، وتوحيدًا لها مما

جعلوا معه : ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ العزيز في انتصاره ممن كفر به إذا شاء الحكيم في حجته وعذره إلى عباده .

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فيهن حجة الرب وعصمة العباد ، ودفع الخصوم والباطل ، ليس لهن تصريف ، ولا تحريف عما وُضعن عليه . ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لهن تصريف وتأويل ، ابتلى الله فيهن العباد ، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ، ألا يُصرفن إلى الباطل ، ولا يحرَّفن عن الحق يقول عز وجل : ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أى ميل عن الهدى ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أى ما تصرف منه ، ليصدقوا به ما ابتدعوا وأحدثوا ، لتكون لهم حجة ، ولهم على ما قالوا شبهة ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ أى: اللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ ذلك على ما ركبوا من الضلالة في قولهم : خلقنا وقضينا . يقول : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ أى الذى به أرادوا ما أرادوا ﴿إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ فكيف يختلف وهو قول واحد ، من رب واحد ، ثم ردوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المحكمة التى لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد ، واتسق بقولهم الكتاب ، وصدق بعضه بعضًا ، فنفذت به الحجة ، وظهر به العذر ، وزاح به الباطل ، ودمغ به الكفر .

يقول الله تعالى في مثل هذا : ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ في مثل هذا ﴿إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ * رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أى : لا تمل قلوبنا ، وإن ملنا بأحداثنا ، ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ ثم قال : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ بخلاف ما قالوا : ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ أي بالعدل فيما يريد ﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾ أى ما أنت عليه يا محمد : التوحيد للرب ، والتصديق للرسل .

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أى الذى جاءك ، أى أن الله الواحد الذى ليس له شريك ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ﴾ أى بما يأتون به من الباطل من قولهم : خلقنا وفعلنا وأمرنا فإنما هى شبهة باطل قد عرفوا ما فيها من الحق ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أى وحده ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا كتاب لهم ﴿ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ ثم جمع أهل الكتابين جميعًا وذكر ما أحدثوا وما ابتدعوا ، من اليهود والنصارى، فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ

بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ﴾ إلى قوله: ﴿قل اللهم مالك الملك ﴾ أى رب العباد والملك الذى لا يقضى فيهم غيره: ﴿تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير﴾ أى لا إله غيرك ﴿إنك على كل شيء قدير﴾ أى لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك ﴿ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾ بتلك القدرة .

﴿وترزق من تشاء بغير حساب ﴾ لا يقدر على ذلك غيرك، ولا يصنعه إلا أنت، أى فإن كنت سلطت عيسى على الأشياء التى بها يزعمون أنه إله ، من إحياء الموتى ، وإبراء الأسقام ، والخلق للطير من الطين ، والإخبار عن الغيوب ، لأجعله به آية للناس ، وتصديقًا له في نبوته التى بعثته بها إلى قومه ، فإن من سلطانى وقدرتى ما لم أعطه تمليك الملوك بأمر النبوة ، ووضعها حيث شئت ، وإيلاج الليل في النهار ، والنهار في الليل ، وإخراج الحى من الميت ، وإخراج الميت من الحى ، ورزق من شئت من بر أو فاجر بغير حساب ، فكل ذلك لم أسلط عيسى عليه ، ولم أملكه إياه ، أفلم تكن لهم في ذلك عبرة وبينة ! أن لو كان إلهًا كان ذلك كله إليه ، وهو في علمهم يهرب من الملوك ، وينتقل منهم في البلاد ، من بلد إلى بلد .

ثم وعظ المؤمنين وحذرهم ثم قال : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله ﴾ أى إن كان هذا من قولكم حقًا حبًا لله وتعظيمًا له ﴿فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ﴾ أى ما مضى من كفركم ﴿والله غفور رحيم * قل أطيعوا الله والرسول ﴾ فأنتم تعرفونه وتجدونه في كتابكم ﴿فإن تولوا ﴾ أى على كفرهم ﴿فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ . ثم استقبل لهم أمر عيسى عليه السلام وكيف كان في بدء ما أراد الله به ، فقال : ﴿ إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ﴾ ثم ذكر أمر امرأة عمران ، وقولها : ﴿رب إني نذرت لك ما في بطني محررا﴾ أى نذرته فجعلته عتيقًا تعبده لله لا ينتفع به لشيء من الدنيا : ﴿فتقبل مني إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى ﴾ أى ليس الذكر كالأنثى لما جعلتها محررًا لك نذيرة ﴿وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا ﴾ بعد أبيها وأمها، ومعنى كفلها : ضمها.

ثم ذكرها باليتم ، ثم قص خبرها وخبر زكريا وما دعا به ،وما أعطاه إذ وهب له يحيى ، ثم ذكر مريم ، وقول الملائكة لها : ﴿يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ۞ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ يقول الله عز وجل : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم ﴾ أى ما كنت معهم ﴿إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم﴾ . كفلها هاهنا جريج الراهب ، رجل من بنى إسرائيل نجار ، خرج السهم عليه بحملها ، فحملها ، وكان زكريا قد كفلها قبل ذلك ، فأصابت بنى إسرائيل أزمة شديدة ، فعجز زكريا عن حملها ، فاستهموا عليها أيهم يكفلها، فخرج السهم على جريج الراهب بكفالتها فكفلها .

﴿وما كنت لديهم إذ يختصمون﴾ أى ما كنت معهم إذ يختصمون فيها ، يخبره بخفى ما كتموا عنه من العلم عندهم ، لتحقيق نبوته والحجة عليهم بما يأتيهم به مما أخفوا منه ، ثم قال : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم﴾ أى هكذا كان أمره ، لا كما تقولون فيه ﴿ وجيها في الدنيا والآخرة﴾ أى عند الله ﴿ومن المقربين ۞ ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين﴾ يخبرهم بحالاته التى يتقلب فيها في عمره، كتقلب بنى آدم في أعمارهم ، صغارًا وكبارًا، إلا أن الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوته،وتعريفًا للعباد بمواقع قدرته.

﴿ قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء﴾ أى : يصنع ما أراد ، ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر ﴿إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون﴾ كن أى ما يشاء وكيف شاء، فيكون : كما أراد ، ثم أخبرها بما يريد به، فقال : ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة﴾ التى كانت فيهم من عهد موسى قبله ، ﴿والإنجيل﴾ كتاباً آخر أحدثه الله عز وجل إليه لم يكن عندهم إلا ذكره أنه كائن من الأنبياء بعده : ﴿ ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم﴾ أى يحقق بها نبوتى أنى رسول منه إليكم : ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله﴾ الذى بعثنى إليكم، وهو ربى وربكم ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم﴾ أنى رسول الله من الله إليكم ﴿إن كنتم مؤمنين ۞ ومصدقا لما بين يدي من التوراة﴾ أى لما سبقنى عنها ﴿ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم﴾ أى أخبركم به أنه كان عليكم حرامًا فتركتموه ثم أحله لكم تخفيفًا عنكم فتصيبون يسره وتخرجون من تبعاته ﴿وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ۞ إن الله ربي وربكم﴾ أى تبريًا من الذى

يقولون فيه ، واحتجاجًا لربه عليهم ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ أى هذا الذى قد حملتكم عليه وجئتكم به . ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ والعدوان عليه ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ هذا قولهم الذى أصابوا به الفضل من ربهم ﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ أى هكذا كان قولهم وإيمانهم ثم ذكر سبحانه وتعالى رفعه عيسى إليه حين اجتمعوا لقتله، فقال: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ ثم أخبرهم ورد عليهم فيما أقروا لليهود بصلبه كيف رفعه وطهره منهم فقال: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إذ هموا منك بما هموا﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ .

ثم القصة حتى انتهى إلى قوله : ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ القاطع الفاصل الحق ، الذى لا يخالطه الباطل ، من الخبر عن عيسى وعما اختلفوا فيه من أمره فلا تقبلن خبرًا غيره . ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ﴾ فاستمع ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ أى ما جاءك من الخبر عن عيسى ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أى قد جاءك الحق من ربك فلا تمترين فيه ، وإن قالوا : خلق عيسى من غير ذكر فقد خلقت آدم من تراب ، بتلك القدرة من غير أنثى ولا ذكر ، فكان كما كان عيسى لحمًا ودمًا ، وشعرًا وبشرًا ، فليس خلق عيسى من غير ذكر بأعجب من هذا : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أى من بعد ما قصصت عليك من خبره ، وكيف كان أمره ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ قال أبو عبيدة: نبتهل: ندعوا باللعنة . قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

لا تقعدن وقد أكلتها حطبًا   نعوذ من شرها يومًا ونبتهل

وهذا البيت في قصيدة له ، يقول : ندعوا باللعنة ، وتقول العرب: بهل الله فلانا ، أى لعنه ،وعليه بهلة الله ، ويقال : بهُلة الله ، أى لعنة الله ، ونبتهل أيضًا : نجتهد في الدعاء . ﴿ إِنَّ هَٰذَا ﴾ الذى جئت به من الخبر عن عيسى ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ من أمره ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۞ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ۞ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فدعاهم إلى النصف وقطع عنهم الحجة .

فلمـا أتى رسـول الله ﷺ الخبـر من الله عنه ، والـفصل من القـضـاء بينه وبينهم، وأُمـر بما أمر به من ملاعنـتهم إن ردوا ذلك عليه ، دعـاهم إلى ذلك ، فقالوا له : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر في أمـرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه ، فـانصرفوا عنه ، لما نزلت هذه الآيات خرج الـنبي ﷺ ومعه أحب الناس إليه : علي بن أبى طالـب رضى الله عنه والسيدة فـاطمة الزهراء ابنة النبي ﷺ وزوجة علي ، وسبطا النبي ﷺ الحسن والحسين رضى الله عنهما .

ونظر أعضاء الوفد إلى آل البيت النبوي الكريم يتقدمهم النبي ﷺ فوجدوهم يفيـضون بالنور والمهابة ، ثم خلوا بالعـاقب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا : يا عـبد المسيح ، ماذا ترى ؟ فقـال : والله يا معشر النصارى لقد عرفـتم أن محمداً لنبي مرسل، ولقد جاءكم بالفـصل من خبر صاحبكم، ولقد علمـتم ما لاعن قوم نبيًا قط فبقى كبـيرهم ، ولا نبت صغيرهم ، وإنه للاستئـصال منكم إن فعلتم ، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم ، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل ، ثم انصرفوا إلى بلادكم ، فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا أبا القـاسم ، قـد رأينا ألا نلاعنك ، وأن نتـركك على دينك ونـرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلاً من أصـحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختـلفنا فيها من أموالنا ، فإنكم عندنا رضـا . فقال رسول الله ﷺ : « ائتونى العـشية أبعث معكم القوي الأمين » . قـال : فكان عمر بن الخطاب يقول : ما أحـببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت إلى الظهر مُهجرًا ، فلما صلى بنا رسـول الله ﷺ الظهـر سلم ، ثم نظر عن يمينه وعن يسـاره، فجـعلت أتطاول له ليرانى ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيمـا اختلفوا فيه . قال عمر : فذهب بها أبو عبـيدة ، واتفقـوا فيمـا بينهم على أن يقبلوا أداء الجزية وقـبل النبي ﷺ منهم وقال : « والذى بعثنى بالحق لو تباهلوا لأمطر الوادى عليهم نارًا » .

* الحسن في مدرسة الرسول ﷺ :

نشأ الحـسن رضى الله عنه وما له معلم سـوى جده الرسول ﷺ كـان يعلمه كل شيء ويتـولاه بالرعاية والـتربيـة ، رآه مرة وقـد التـقط تمرة من تمر الصدقـة فوضعـها في فمه فقال له : « ألا تعلم إنـا أهل بيت لا تحل لنا الصدقة » وأدخل يده في فمه وأخرج التمرة .

ولقنه النبي ﷺ دعاء القنوت ، فقد روى الحسن رضى الله عنه قال : علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في الوتر وهى : « اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت ، وبارك لي فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت» .

وكان النبي ﷺ يقول له : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة » .

وهكذا نشأ الحسن رضى الله عنه على الصدق والتقوى ، وحب الخير ، والابتعاد عن مواطن الريبة والشر ، ولم يلبث إلا أن قبض الله روح رسوله الطاهرة يوم الاثنين الموافق ١٢ ربيع الأول عام ١١ هـ الموافق ١٢ يونيو ٦٣٢ م وتولى الخلافة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

* سيدنا الحسن رضى الله عنه في عهد الشيخان رضى الله عنهما :

عندما تولى الخلافة أبو بكر الصديق رضى الله عنه كان يحب الحسن حبًا شديدًا ويقول عنه أنه شبيه الرسول ﷺ وليس شبيه علي بن أبى طالب ويروى الذهبى في سير أعلام النبلاء : (صلى بنا أبو بكر العصر ثم قام وعلي يمشيان فرأى الحسن يلعب مع الغلمان فأخذه أبو بكر فحمله على عنقه وقال بأبى شبيه النبي ليس شبيه بعلي وعلي يتبسم .

وقد أورد كذلك أنس بن مالك بأن الحسن كان أشبه الناس بالنبي عليه الصلاة والسلام وكان علي بن أبى طالب والده يقول بأن أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبه به ما كان أسفل من ذلك .

وكان سبب عطف أبي بكر الصديق على الحسن رضى الله عنه أن أمه البرة الحنون السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها لحقت بأبيها عليه الصلاة والسلام بعد ستة أشهر في يوم الثلاثاء الثالث من رمضان لعام ١١ هـ الموافق الثانى والعشرين من نوفمبر عام ٦٣٢ م فأدرك الحسن مرارة اليتم وقد صقله الحزن وأخرج منه رجلاً قويًا صامدًا وقف بجوار أبيه الإمام علي رضى الله عنه يعاضده ويسانده ويشير عليه في بعض الأحيان بالرأى البعيد ، وكان هذا سر العطف على الحسن من قبل الخليفة أبي بكر الصديق حتى توفى الله أبا بكر الصديق في ١٧ جمادى الآخرة عام ١٣ هـ الموافق ١٣ أغسطس عام ٦٣٤ م ، وتولى الخلافة بعده أمير

المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأكمل سياسة التودد التى انتهجها نحو آل البيت وخاصة أولاد فاطمة الزهراء التى تزوج ابنتها أم كلثوم بنت علي بن أبى طالب ، التي أنجب منها ابنه زيد .

ففي المحرم لعام ٢٠ هـ أواخر عام ٦٤٠ م قام عمر بن الخطاب بتدوين الدواوين فبدأ ببني هاشم في الدعوة ثم الأقرب فالأقرب فألحق الحسن والحسين بفريضة أبيهما لقرابتهما من رسول الله ﷺ فرض لكل منهما خمسة آلاف درهم، وكسا عمر أبناء الصحابة ولم يكن في ذلك ما يصلح للحسن والحسين فبعث إلى اليمن فأتى بكسوة لهما فقال الآن طابت نفسى وكان عمر يقدم الحسن والحسين في العطاء على أبنائه حتى سأله عبد الله بن عمر : لم تفضل علي هذين الغلامين وأنت تعرف سبقى في الإسلام وهجرتى ؟ فقال له عمر : ويحك يا عبد الله ، ائتنى بجد مثل جدهما وأب مثل أبيهما وأم مثل أمهما وجدة مثل جدتهما .

* سيدنا الحسن رضى الله عنه في الفتنة الكبرى :

عندما قتل عمر بن الخطاب مع حلول الخريف لعام ٦٤٤ م في أواخر عام ٢٣ هـ كان الحسن بن علي رضى الله عنه قد شب عن الطوق فعاصر الفتنة الأولى وهو بعد في سن الشباب والتى بدأ يحوك نولها نسيجها مع بدايات عهد عثمان بن عفان وكان عثمان يكمل الفتوحات التى بدأها أبو بكر الصديق فوسع فتوحاته إلى إفريقية فبعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح الذى تولى ولاية مصر بعد عزل عمرو بن العاص في عام ٢٥ هـ الموافقة لعام ٦٤٦ م وأمده بجيش تحت قيادة عبد الله بن نافع أخو عقبة بن نافع فكان الحسن والحسين في هذا الجيش ومعهم عبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر ومعهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب فوصل الجيش إلى برقة وتقابل مع عقبة بن نافع الفهرى الذى وصل بهم إلى طرابلس ومن هنا بث عقبة السرايا من طرابلس وذهب عقبة بالجيش الرئيسى الذى كان فيه الحسن والحسين إلى تونس وهناك تقابلوا مع ملك البربر جرجيروس ولكن كانت نتيجة المعركة سجال دون هزيمة أو نصر حتى أمد عثمان بن عفان بعبد الله بن الزبير بن العوام الذى قام بحيلة بأن قسم الجيش إلى قسمين قسم يحارب الصبح حتى الظهر وهو وقت الراحة وقسم آخر يحارب على غفلة في وقت الراحة وفعلاً تم النصر للمسلمين على الروم وتوسع المسلمون في الشرق التونسى حتى وصلوا إلى جنوبه عند قفصة الذى أقر

أهلها بالفتح والصلح على مبلغ ٢ مليون ونصف دينار وكـان فتح إفريقية هذا عام ٢٧ هـ الموافق لعام ٦٤٨ م .

ووصل خمس الغنائم إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان والذى باعه لابن عمه مروان بن الحكم وقد أخـذ ذلك على أمير المؤمنين عثمان بن عـفان (لأن الخمس بعد التقسيم العادل يكون من نصيب أهل بيت الرسول ﷺ) . والذى زود الطين بلة هى حادثة الوليد بن عقبة بن أبى معيط أخى عثمان بن عفان لأمه الذى ضرب على حد الخمر أمام الجمع في المدينة المنورة (سبحان الله مع أن حفيده محمد بن عبد الله العقبي كان يحمى المسلمين مـن اضطهاد الأسبان أثناء سقوط قطالونية في عام ٦٣٨ هـ الموافق ١٢٤٠ م فهابه الأسبـان لمكانته) التى كانت السبب في عزله عن ولاية الكوفة . فـتولى خلفًا له سعيـد بن العاص الذى قام أول ما قـام بفتح طبرستان (وهى حاليًا في شمال جمهورية إيران الإسلامية وهى حاليًا يطلق عليها آمل وتقع على بحر قزوين) وكان فتحها في عام ٣٠ هـ الموافق عام ٦٥١ م وكان الحسن والحسين والعـبادلة والكثير من الصحابة في هذا الجـيش وأظهر الحسين من البطولة في هذا الفتح ما حقق صدق ميراثه من جده ﷺ وعاد الجيش ظافرًا ، بعد أن رفع راية الإسـلام ونشر كلمـة لا إله إلا الله في هذا المكان الجـديد من أرض الله، ثم بدأت الفتـنة وزاد الطعن على عثمـان بن عفان رضى اللـه عنه وتوقفت حركة الفتوحات الإسلامية حتى تم حصار أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه مع بدايات عام ٣٥ هـ الموافق أوائل عام ٦٥٦م ، فأرسل الإمام علي كرم الله وجهه ابنيه الحسن والحسين للدفاع عن عـثمان بن عفان ولكن الأشرار الذين قتلوه تسوروا الجـدار من خلف ، فلم يفطن لهم المدافـعون أمـام الباب ، وجـاء الإمام علي بن أبي طالب رضى الله عنـه حين علم بمصرعـه فلطم الحسن ولكز الحـسين وقال لهما : أيقتل الخليفة وأنتما حيان ؟ وحزن الحسن على الخليفة حزنًا شديدًا ، واشتد حزنه لتفرق كلمة المسلمين .

أشار الحسن رضي الله عنه على أبيـه أن يخرج من المدينة المنورة ولا يتعرض لبيعة المسلمين فإنه لا أمان من خلافهم بعد ذلك ، ولكن الأمور سارت وفق قضاء الله النافـذ وتقديره الذى لابد أن يكون ، لأن الحـسن بعد تولـى أبيه الخلافـة لم يرحب بالفتنة التى كـانت بين المسلمين فلم يشارك في حادث ذات أهميـة في عهد خلافة والده ولا في موقـعة الجمل حتى أنه في موقعة الجـمل كان رافضًا للحرب

فيروى ابن عباس في هذا الصدد خرجنا إلى الجمل ستمائة فارس فأتينا الربذة (حاليًا بجوار حفر الباطن) فقام الحسن فبكى فقال علي : تكلم ودع عنك أن تحن حنين الجارية قال : إنى كنت أشرت عليك بالمقام وأنا أشيره الآن إن للعرب جولة ولو قد رجعت إليها عوازب أحلامها قد ضربوا إليك آباط الإبل حتى يستخرجوك ولو كنت في مثل جحر ضب قال : أترانى لا أبا لك كنت منتظرًا كما ينتظر الضبع اللدم (في هذا الحوار يسرد الإمام الحسن بأنه لا يبغى الحرب لأن الإمام علي كرم الله وجهه يرمى بأولاده في حرب لا يعلم مداها سوى الله وأنه لن يتركنا العرب حتى لو كنا مختبئين وكان رد الإمام علي أننى غير منتظر لحديثك) ولا في صفين حتى أن أباه حثه للقتال في صفين ولكنه كان رافضًا للحرب والقتال ولم يكن حاله مثل حال أخويه الحسين ومحمد حتى قتل الإمام علي بن أبى طالب كرم الله وجهه في يوم ١٧ رمضان لعام ٤٠ هـ الموافق ٢٨ يناير ٦٦١ م .

ويقول الطبرى في موضوع تولى الحسن الخلافة قال علي ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ، وقد صلى الحسن بن علي بن أبى طالب على أبيه بعد وفاته وتولى الحسن بعد ذلك أمر الخلافة بعد أبيه .

* سيدنا الحسن رضى الله عنه خامس الخلفاء الراشدين :

١٧ رمضان عام ٤٠ هـ - ٥ ربيع الأول ٤١ هـ الموافق ٢٤ يناير ٦٦١ - ٦ يوليو ٦٦١ م

عندما تولى أمير المؤمنين الحسن بن علي الخلافة بعد مقتل أبيه ، على الرغم من حديث جرير بن حازم : (قتل علي فبايع أهل الكوفة الحسن وأحبوه أشد من حب أبيه) ألا أن الحسن كان يميل لتسليم الأمر لمعاوية بن أبي سفيان ، فقام الحسن بعد موت أبيه فقال : والله ما ثنانا عن أهل الشام شك ولا ندم وإنما كنا نقاتلهم بالسلامة والصبر فشيبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع وكنتم في منتدبكم إلى صفين دينكم أمام دنياكم فأصبحتم ودنياكم أمام دينكم ألا وإنا لكم كما كنا ولستم لنا كما كنتم ألا وقد أصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون عليه وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره فأما الباقى فخاذل وأما الباكى فثائر ألا وإن معاوية دعا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة فإن أردتم الموت رددنا عليه وإن أردتم الحياة قبلناه قال فناداه القوم من كل جانب التقية التقية فلما أفردوه أمضى الصلح أى أنه مال إلى الصلح (وهذا لمناظرة من يدعى من الشيعة أنه كان يناصر ويضحى

لمذهب آل البيت فيما يعتقدون فقد رأينا أن الشيعة يطلبون الصلح بكلمة التقية ، التقية بتكرارها مرتين مؤكدين على عدم ميلهم للحرب خلاف ما يدعون الآن) .

سار أمير المؤمنين الحسن بن علي رضى الله عنهما حتى نزل المدائن وبعث قيس بن سعد بن عبادة (جد كاتب هذه السطور الأنصارى الخزرجى / أحمد عزوز أحمد محمد مصطفى الفرخ) على المقدمات وهم اثنا عشر ألف فارس فوقع الصائح - وكان هذا أحد الجنود وكان لا يبغى الحرب وهو غير معروف لدينا- قتل قيس بن سعد بن عبادة فانتهب الناس سرادق الإمام الحسن رضى الله عنه ووثب عليه رجل من الخوارج فطعنه بالخنجر فوثب الناس على ذلك الرجل فقتلوه ومن هنا علم الإمام الحسن أن شيعته متفرقين وحدث هرج ومرج بين الجنود ولم يستطع أن يسيطر على الأمور فكتب إلى معاوية في الصلح ، فخطب أمير المؤمنين الحسن بن علي رضى الله عنهما وقال : « يا أهل الكوفة اتقوا الله فينا فإنا أمراؤكم وإنا أضيافكم ونحن أهل البيت الذين قال الله فيهم إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت » . وكان الحسن سار إلى معاوية وسار معاوية إليه وعلم أنه لا تغلب طائفة الأخرى حتى تذهب أكثرها فبعث إلى معاوية أنه يصير الأمر إليك بشرط أن لا تطلب أحدًا بشيء كان في أيام أبي فأجابه وكاد يطير ابن آكلة الأكباد فرحًا إلا أنه قال أما عشرة أنفس فلا فراجعه أمير المؤمنين الحسن ابن علي رضى الله عنهما فيهم فكتب إليه إنى آليت متى ظفرت بقيس بن سعد أن أقطع لسانه ويده فقال : لا أبايعك فبعث إليه معاوية برق أبيض وقال : اكتب ما شئت فيه وأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك واشترط عليه أمير المؤمنين الحسن بن علي رضى الله عنهما أن يكون له الأمر من بعده (أى للحسن) فالتزم ذلك كله معاوية فقال له عمرو بن العاص : إنه انفل حدهم وانكسرت شوكتهم قال : أما علمت أنه بايع عليًا أربعون ألفًا على الموت فوالله لا يقتلون حتى يقتل أعدادهم منا وما والله في العيش خير .

ومن هنا يجب أن يكتب المؤرخون وكتاب السير التاريخية والرواة على أن الإمام الحسن بن علي رضى الله عنهما هو خامس الخلفاء الراشدين لأنه كان له الأمر بعد مقتل أبيه ستة أشهر كما سبق أن ذكرنا وليس الخليفة عمر بن عبد العزيز - مع احترامنا الشديد جدًا لسيرته الذاتية - الذى يعتبره كتاب التاريخ خامس فمن الأحرى والأولى أن يكون سادسهم لا خامسهم .

وكان معاوية يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة فلما توفى الإمام علي بن أبى طالب بعث إلى الحسن بن علي فأصلح ما بينه وبينه سرًا وأعطاه معاوية عهدًا إن حدث به حدث والحسن حى ليسمينه خليفة للمسلمين وليجعلن الأمر إليه فلما توثق منه الحسن قال عبد الله بن جعفر والله إنى لجالس عند الحسن إذ أخذت لأقوم . . . . أن تتابعنى عليه قلت : ما هو قال : قد رأيت أن أعمد إلى المدينة المنورة فأنزلها وأخلى بين معاوية وبين هذا الحديث فقد طالت الفتنة وسفكت الدماء وقطعت الأرحام والسبل وعطلت الفروج قال ابن جعفر : جزاك الله خيرًا عن أمة محمد فأنا معك فقال : ادع لي الحسين فأتاه فقال : أى أخى قد رأيت كيت وكيت فقال : أعيذك بالله أن تكذب عليًا وتصدق معاوية فقال الحسن : والله ما أردت أمرًا قط إلا خالفتنى والله لقد هممت أن أقذفك في بيت فأطينه عليك حتى أقضى أمرى فلما رأى الحسين غضبه قال : أنت أكبر ولد علي وأنت خليفته وأمرنا لأمرك تبع فقام الحسن فقال : أيها الناس إنى كنت أكره الناس لأول هذا الأمر وأنا أصلحت آخره إلى أن قال : إن الله قد ولاك يا معاوية هذا الحديث لخير يعلمه عندك أو لشر يعلمه فيك ، وإن أدرى لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .

وقد استشار معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص فقال عمرو بن العاص : إنى لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها فقال معاوية : وكان والله خير رجلين أى عمرو إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بأمور المسلمين من لي بنسائهم من لي بضيعتهم فبعث إليهم برجلين من قريش عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز (وهذين الرجلين من بنى عبد شمس وهم أبناء عمومة) فقال : اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه فأتياه فقال لهما الحسن بن علي إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها ، قالا : فإنا نعرض عليك كذا وكذا ونطلب إليك ونسألك قال فمن لي بهذا قالا نحن لك به فما سألهما شيئًا إلا قالا نحن لك به فصالحه .

قال الحسن : ولقد سمعت أبا بكرة يقول : رأيت رسول الله ﷺ يقول : إن ابنى هذا سيد وذكر الحديث ، ثم كاتب معاوية في الصلح على أن يسلم له ثلاث خصال يسلم له بيت المال فيقضي منه دينه ومواعيده ويتحمل منه هو وآله ولا يسب علي وهو يسمع وأن يحمل إليه خراج فسا ودرابجرد (منطقتين بإيران) كل سنة إلى المدينة المنورة فأجابه معاوية وأعطاه ما سأل ويقال بل أرسل إليه عبد الله

ابن الحارث بن نوفل (من بني عبد المطلب) إلى معاوية حتى أخذ له ما سأل فكتب إليه الحسن أن أقبل فأقبل من جسر منبج إلى مسكن (أماكن بالعراق ومسكن التى قتل فيها مصعب بن الزبير بن العوام أمام الخليفة الأموي عبد الملك ابن مروان عام ٧١ هـ ٦٩٠ م) في خمسة أيام فسلم إليه الإمام الحسن بن علي رضى الله عنهما الأمر وبايعه حتى قدما الكوفة ووفى معاوية للحسن ببيت المال وكان فيه يومئذ سبعة آلاف ألف درهم فاحتملها الحسن وتجهز هو وأهل بيته إلى المدينة المنورة وكف معاوية عن سب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والإمام الحسن يسمع وأجرى معاوية على الحسن كل سنة ألف ألف درهم ، وتم هذا الصلح في ربيع الأول عام ٤١ هـ يوليو ٦٦١م .

لقد وازن الحسن الأمور موازنة دقيقة ووجد أن كفة الآخرة أرجح مهما برزت الدنيا أمامه بزخرف كاذب أو زينة باطلة وهذا هو الورع الحقيقي والدين الحق الذي جاء به النبي ﷺ .

ويقول ابن الأثير : دعاه إلى ذلك ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا فيما عند الله ، وما عند الله خير وأبقى .

وسمى العام الذى تنازل فيه الإمام الحسن رضى الله عنه عن الخلافة عام الجماعة فما أن تم الصلح حتى ألقى المتحاربون السلاح ، وأقبل كل منهم على خصمه يفتح ذراعيه أو يضمه على صدره ويقبله ، والدموع تنحدر على خديه . تبًا للسياسة وأطماع الحكم التى تفرق بين الأخ وأخيه تغرى المسلم بالمسلم وتشغل المسلم بالمسلم وتشغل الناس بصراعات يستفيد منها الحكام ويذهب ضحيتها الناس الذين هم أحوج ما يكونون إلى الاستقرار وحسن التوجيه والرعاية.

وقال عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان ولم يكن الحسن قد غادر الكوفة (إن الحسن مرتفع في الأنفس لقرابته من رسول الله ﷺ وإنه حديث السن عيي فمره فليخطب فإنه سيعيي فيسقط من أنفس الناس) فأبى فلم يزالوا به حتى أمره فقام على المنبر دون معاوية فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بين جابرس وجابلق (في نظر الإمام الحسن رضى الله عنه من أقدم ملوك الأرض) رجل جده نبي غيرى وغير أخى وإنى رأيت أن أصلح بين الأمة ألا وإنا قد بايعنا معاوية ولا أدرى : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأنبياء : ١١١] - وأشار إلى معاوية فتضايق معاوية - إن أكيس الكيس التقى وإن أحمق الحمق الفجور ألا وإن

هذه الأمور التى اختلفت فيها أنا ومعاوية تركت لمعاوية إرادة إصلاح المسلمين وحقن دمائهم . كلمات قلائل ولكنها حاسمة وقاطعة تركت معاوية مشدوهًا ، ونظر إلى عمرو بن العاص في غيظ وقال : ما أردت إلا هذا أى ما أردت إلا أن تظهر أمام الناس شرفه وحسن منطقه وقوة عارضته وفصاحته .

وجرت محاولة أخرى من معاوية وأنصاره أرادوا منه أن يلزموه الحجة وأن أباه هو الذى أخذ الحق من أصحابه وأن الذين حاربوه إنما حاربوه لتصحيح الأوضاع وإرجاع الأمور إلى نصابها حدث الرواة أنه بعد أن تم الصلح اجتمع عند معاوية نفر من أنصاره فيهم الوليد بن عقبة ، وعتبة بن أبى سفيان ، وعمرو بن العاص ، والمغيرة بن شعبة ، وكان قد بلغهم أن الناس ما زالوا يلهجون بالثناء على الحسن رضى الله عنه ويرفعون من ذكره ، وقد ذكروا ذلك لمعاوية وأشاروا عليه أن يجمعهم للتناظر والتحاور .

فقال لهم معاوية : لا تفعلوا فوالله ما رأيته قط جالسًا عندى إلا خفت مقامه وعظمته واعلموا أنه ألسن بنى هاشم .

فألحوا عليه فى أن يبعث إليه فقال لهم معاوية : إن بعثت إليه لأنصفه منكم، فقال عمرو بن العاص : أتخشى أن يغلبنا على أمرنا ؟

قال معاوية : أما لو أنى بعثت إليه لآمرنه أن يتكلم بلسانه كله ، واعلموا أنهم أهل بيت لا يعيبهم عائب .

وجاء رسول معاوية إلى الحسن . فقال الحسن : يا جارية أحضرى ثيابي ، اللهم أنى أعوذ بك من شرورهم وأدرأ بك في نحورهم وأستعين بك عليهم فاكفينيهم بما شئت وأنى شئت بحول منك وقوة يا أرحم الراحمين .

وجاء الحسن فرحب به معاوية ، وأعظمه وقربه وأجلسه إلى جانبه ، ثم قال له : يا أبا محمد ، إن هؤلاء القوم بعثوا إليك وعصونى .

فقال الحسن : سبحان الله ، الدار دارك والإذن فيها إليك ، إن كنت أجبتهم إلى ما أرادوا وما في أنفسهم إنى لأستحيي من الظلم ، وإن كانوا غلبوك إنى لأستحيي لك من الضعف ، أما لو أنى علمت بمكانهم لجئت بمثلهم من بني عبد المطلب ، وما لي أكون مستوحشًا منك ولا منهم إن وليي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

فقال معاوية : إنى كرهت أن أدعوك ، ولكن هؤلاء حملونى على ذلك وإن

لك منهم النصف ومـنى وإنما دعوناك لنقـررك أن عـثمـان قـتل مظلومًا وأن أباك تساهل في هذا الأمـر فأجبهم ، ولا تمنعك وحـدتك واجتمـاعهم أن تتكلم بكل لسان .

فقام أحد خصوم الحسن فذكر الإمام عليًا رضى الله عنه واتهمه بالتساهل مع قتلة عثمان ، وزعم أنه كره خلافة أبي بكر وبايعه مكرهًا ، وكذلك خلافة عمر ، كما نال من الحسن أيضًا وسخر من تطلعه للخلافة .

وقام الوليد بن عقـبة ، فامتدح عثمـان ، واتهم بني هاشم بأنهم حسدوه ، وقال : والله إن بني أمية خير لبني هاشم من بنى هاشم لبنى أمية .

وقام عتبة بن أبى سـفيان فتحدث عن علي كرم الله وجهـه وكرر التهمة بأن بنى هاشم تهاونوا مع قتلة عثمان وكذلك قال المغيرة بن شعبة .

فقام الحسن بن علي رضى الله عنه وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ أما بعـد يا معاوية ، فـما هؤلاء شتمـونى ، ولكنهم رددوا كلامًا سمعـته قبل ذلك وليس له من الصحة نصـيب وأبى أرفع وأعظم من أن يتهم بمثل ما تزعـمون ولكن اسمعـوا منى : أنشدكم بالله أيهـا الرهط هل تعلمون أن الذى تتهـمونه صلى إلى القـبلتين في الوقت الذى كنتم تعبـدون فيـه اللات والعزى ؟ وبايع بيعة الفتح وبيعة الرضوان دونكم ؟ وأنشدكم الله هل تعلمون أنه أول الناس إيمانًا وأنه كـان صـاحب راية الرسـول ﷺ يوم بدر ؟ ثم لقـيكم يوم أحـد ويوم الأحزاب ومعه راية رسول الـله ﷺ ومعكم راية الشرك ، وفي كل ذلك كان الله يفتح عليه ويفلج حجته وينصر دعوته ويصدق حديثه ورسول الله ﷺ في كل هذه المواطن عنه راض ، وإنه بات يحرس رسول الله ﷺ من المشـركين ، وفداه بنفسه ليلة الهجرة ، حتى أنزل الله فيه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ، وأنـزل فيه : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة : ٥٥] . وقال لـه رسول الله ﷺ : «أنت منى بمنزلة هارون من موسى وأنت أخى في الدنيا » .

ثم اتجه لعمرو بن العاص فقال له : إن أباك قام فقال : أنا شانىء الأبتر يقصد رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى فيه ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر : ٣] وقاتلت رسـول الله ﷺ في بعض المشـاهد وآذيتـه بمكة وكنت من أشـد الناس له تكذيبًا وعداوة ، ثم خرجت تريد النجاشى لتأتى بجعفر وأصحابه فأخطأك ما رجوت .

ثم اتجه إلى الوليد بن عقبة فقال له : أما أنت يا وليد فوالله ما ألومك على بغض علي وقد قتل أباك بين يدى رسول الله ﷺ صبرًا ، وجلدك ثمانين في الخمر لما صليت بالمسلمين الفجر سكران وفيك يقول الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ... أن الوليد أحق بالعذر
نادى وقد تمت صلاتهم ... أأزيدكم سكرًا وما يدرى
ليزيدهم أخرى ولو قبلوا ... لأتت صلاتهم على العشر
فأبوا أبا وهب ولو قبلوا ... لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجري

ثم اتجه إلى عتبة بن أبي سفيان فقال له : أما أنت يا عتبة فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك ، وما عندك خير يرجى ولا شر يتقى ، وما عقلك وعقل أمتك إلا سواء وكيف ألومك على بغض علي وقد قتل خالك الوليد مبارزة يوم بدر ، وشارك حمزة في قتل جدك عتبة ، أو حدك من أخيك حنظلة في مقام واحد .

ثم اتجه إلى المغيرة بن شعبة فقال : وأما أنت يا مغيرة بن شعبة فلم تكن بخليق أن تقع في هذا وشبهه ،وإنما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة : استمسكى فإنى طائرة عنك فقالت النخلة : هل علمت بك واقعة علي فأعلم بك طائرة عنى والله ولا نشعر بعداوتك إيانا ، ولا حزنا إذ علمنا به ، ولا يشق علينا كلامك ، ثم قام فنفض ثوبه وانصرف .

فقال معاوية : قد أنبأتكم أنه ممن لا تطاق معارضته ونهيتكم أن تحاوروه فعصيتموني .

ثم عاد الحسن بن علي رضى الله عنه إلى المدينة المنورة وظل على اتصال بمعاوية بن أبي سفيان يقبل جوائزه هو وأخوه كما تم الاتفاق في معاهدة الصلح التى تمت بين الطرفين ، ويروى المؤرخون قصتين للحسن في عهد معاوية بن أبي سفيان ، فاخر يزيد بن معاوية الحسن بن علي فقال له أبوه : فاخرت الحسن ، قال : نعم ، قال : لعلك تظن أن أمك مثل أمه أو جدك كجده فأما أبوك وأبوه فقد تحاكما إلى الله فحكم لأبيك على أبيه ، وكذلك دخل الحسن على معاوية فقال معاوية : لأجيزك بجائزة لم أجز بها أحدًا فأجازه بأربعة مائة ألف أو أربع مائة ألف ألف درهم فقبلها .

ومن أجمل ما روى في عهد معاوية هى قصة أوردها السيوطى في كتابه تاريخ الخلفاء .

النبي ﷺ يلقن سيدنا الحسن رضى الله عنه في المنام دعاءً :

أضاق الحسن بن علي - وكان عطاؤه في كل سنة مائة ألف - فحبست عنه في إحدى السنين - فأضاق إضاقة شديدة ، فدعا الحسن رضى الله عنه بدواة ليكتب إلى معاوية بن أبى سفيان ليذكره نفسه ، ثم يقول : أمسكت فرأيت النبي ﷺ في المنام يقول لي : كيف أنت يا حسن ؟ فقلت : بخير يا أبت وشكوت إليه ما تأخر من المال عنى ، فقال ﷺ : أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكره ذلك ؟ فقلت : نعم يا رسول الله فكيف أصنع ؟ فقال ﷺ : « قل : اللهم اقذف في قلبي رجاءك ، واقطع رجائى عمن سواك حتى لا أرجو أحدًا غيرك ، اللهم وما ضعفت عنه قوتى ، وقصر عنه عملى ، ولم تبلغ مسألتى ، ولم يجر على لسانى مما أعطيت أحدًا من الأولين والآخرين من اليقين فخصنى به يا رب العالمين » . قلت : فوالله ما ألححت بذلك أسبوعًا حتى بعث إلى معاوية بخمسمائة ألف، فحمدت الله رب العالمين الذى لا ينسى من ذكره ، ولا يخيب من دعاه فرأيت النبي ﷺ وحدثته بحديثي فقال : يا بنى هكذا من رجا الخالق ولم يرج المخلوق .

* وفاته :

توفى الإمام السبط الحسن بن علي رضى الله عنهما في الخامس من ربيع الأول عام ٤٩ هـ الموافق التاسع من أبريل لعام ٦٦٩ م عن عمر يناهز السادسة والأربعين عامًا هجرية وأربع وأربعين عامًا ميلادية . وكان سبب وفاته أن زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس (محمد بن الأشعث هو الذى أبلغ عبيد الله بن زياد ابن أبى سفيان عن مسلم بن عقيل الذى أرسله الإمام الحسين إلى أهل الكوفة فقام بقتله أما حفيده عبد الرحمن فهو صاحب ثورة ابن الأشعث بن قيس الذى أنهاها الحجاج بن يوسف الثقفي وتم قتل أبيه محمد بن الأشعث بن قيس) سقت الحسن السم فاشتكى فكان توضع تحته طشت وترفع أخرى نحوًا من أربعين يومًا (أى ظل أربعين يومًا مريضًا من جراء السم) وكان قد سألها يزيد في ذلك وبذل لها مائة ألف درهم ، وأن يتزوجها بعد الحسن ، ففعلت ولما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها ، فقال : إنا لن نرضاك للحسن أفنرضاك لأنفسنا

فالعاقبة لم يقبل يزيد بن معاوية زواجه من خائنة لزوجها وغدر بها كما غدرت بزوجها رضى الله عنه ، وفي الآخرة سوف تلقى جزاء القتل وخيانة زوجها : ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة : ٣٢] .
فما بالك بالحسن أحد شباب أهل الجنة كما قال جده عليه الصلاة والسلام . فيقال إنه كان سقى ثم أفلت ثم سقى فأفلت ثم كانت الآخرة وحضرته الوفاة فقال الطبيب : هذا رجل قد قطع السم أمعاءه . قال الحسن للحسين : قد سقيت السم غير مرة ولم أسق مثل هذه إنى لأضع كبدى فقال : من فعله فأبى أن يخبره ، وكانت أصابع الاتهام تشير إلى معاوية بن أبي سفيان الذى فكر هو وابنه يزيد في التخلص منه لكى يتولى يزيد ولاية العهد بعد أبيه وكان الذى غرس الفكرة في معاوية هو المغيرة بن شعبة . ثم قال الحسن للحسين : ادفنى عند أبي يعنى النبي ﷺ إلا أن تخافوا الدماء فادفنى في مقابر المسلمين ثم قال له : يا أخى إن أباك لما قبض رسول الله ﷺ استشرف لهذا الأمر فصرفه الله عنه فلما احتضر أبو بكر تشرف أيضًا لها فصرفت عنه إلى عمر فلما احتضر عمر جعلها شورى أبى أحدهم فلم يشك أنها لا تعدوه فصرفت عنه إلى عثمان فلما قتل عثمان بويع ثم نوزع حتى جرد السيف وطلبها فما صفا له شيء منها وإنى والله ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة فلا أعرفن ما استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك ولما احتضر الحسن بن علي قال: أخرجوا فراشى إلى الصحن فأخرجوه فقال: اللهم إنى أحتسب نفسى عندك فإنها أعز الأنفس علي وقد نصح أحد الحاضرين لهذا الحدث الجلل قال للحسين : اتق الله ولا تثر فتنة ولا تسفك الدماء ادفن أخاك إلى جنب أمه فإنه قد عهد بذلك إليك ، فلما قبض ارتجت المدينة صياحًا فلا تلقى إلا باكيًا، وقد استأذن بنو هاشم السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقالت : نعم وكرامة فبلغ ذلك مروان بن الحكم فقال : كذب وكذبت والله لا يدفن هناك أبدًا منعوا عثمان من دفنه في المقبرة ويريدون دفن حسن في بيت عائشة تسلح الحسين وجمع مواليه فقال له أبو هريرة أنشدك الله ووصية أخيك فإن القوم لن يدعوك حتى يكون بينكم دماء فدفنه بالبقيع فقال أبو هريرة أرأيتم لو جىء بابن موسى عليه السلام ليدفن مع أبيه فمنع أكانوا قد ظلموه فقالوا: نعم ، قال : فهذا ابن نبي الله ﷺ قد جىء ليدفن مع أبيه وأبرد مروان إلى معاوية بخبره وإنهم يريدون دفنه مع النبي ﷺ ولا يصلون إلى ذلك أبدًا وأنا

حى فانتهى حسين إلى قبر النبي ﷺ فقال : احفروا فنكب عنه سعيد بن العاص يعنى أمير المدينة فاعتزل فقال مروان : والله ما كنت لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله ﷺ وقد دفن عثمان بالبقيع وصاح مروان في بنى أمية ولبسوا السلاح فقال له حسين يا ابن الزرقاء : ما لك ولهذا أوالٍ أنت ؟ فقال : لا تخلص لهذا وأنا حى فصاح الحسين بحلف الفضول فاجتمعت هاشم وتيم وزهرة وأسد في السلاح وعقد مروان لواء وكانت بينهم مراماة وجعل عبد الله بن جعفر يلح على الحسين ويقول يا ابن عم ألم تسمع إلى عهد أخيك أذكرك الله أن تسفك الدماء وهو يأبى، فلما أخرجوا جنازة الحسن حمل مروان سريره فقال الحسين : تحمل سريره أما والله لقد كنت تجرعه الغيظ قال : كنت أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال ويروى أن عائشة قالت : لا يكون لهم رابع أبدًا وإنه لبيتى أعطانيه رسول الله ﷺ في حياته ويروي الرواة في صلاة الجنازة كان فيها الخلاف فالحسين رفع السلاح على سعيد بن العاص ويقول له ويطعن في عنقه تقدم فلولا أنها سنة ما قدمت يعنى في الصلاة ، فقال أبو هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أحبهما فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد أبغضنى » وأخذ أبو هريرة يبكى وينادى بأعلى صوته يا أيها الناس مات اليوم حب رسول الله ﷺ فابكوا ، ودفن الحسن في البقيع في مقابر المسلمين .

* أولاده :

فبنو الحسن هم : الحسن ،وزيد ، وطلحة ، والقاسم ، وأبو بكر ، وعبد الله ، فقتلوا بكربلاء مع عمهم الشهيد الحسين بن علي رضى الله عنهما وعمرو، وعبد الرحمن ، والحسين ، ومحمد ، ويعقوب ، وإسماعيل ، فهؤلاء الذكور من أولاد الإمام الحسن بن علي ولم يعقب منهم سوى الرجلين الأولين الحسن وزيد فللحسن خمسة أولاد أعقبوا ولزيد ابن وهو الحسن بن زيد فلا عقب له إلا منه ولي إمرة المدينة وهو والد السيدة نفيسة (المدفونة بالقاهرة) والقاسم وإسماعيل وعبد الله وإبراهيم وزيد وإسحاق وعلي رضى الله عنهم ، وقد أعقب كذلك عمرو ابنه محمد وكان مسندًا للأحاديث الشريفة والآخر هو أحمد وكان من علماء الفقه في المدينة المنورة في عهد أبي جعفر المنصور وقد انقرض نسل عمرو أما الحسين بن الحسن كان له فتيات ولم تكن له ذرية .

الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما في الميزان

١ - عبادته :

نشأ الحسن رضى الله عنه متعبدًا ونـشأ في بيت التقوى والعبادة والإنسان ابن بيئـته ، إنه نشـأ في أطهر بيت وأشـرف وأكرم بيت عـماده رسـول الله ﷺ إمام المتقين وسيـد العابدين ورسول رب العالمين وأبوه على كـرم الله وجهه تاج الزهاد والعباد وأمه التقية النقية الطاهرة البتول سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء فما له لا ينشأ صالحًا عابدًا تقيًا ورعًا نقيًا ؟ كان يقبل على العبادة بجد واجتهاد وكان يقول: سمعت النبي ﷺ يقول : « من صلى صلاة الغـداة فجلس في مصلاه حتى تطلع الشمـس كان له حجـاب من النار أو ستـر من النار » . وقيل : إنه حـج خمس عشرة مرة وحج كـثيرًا منها ماشيًا من المدينة إلى مكة ونجائبه تـقاد معه . وقال : ابن عباس ما ندمت على شيء فاتنى في شـبابي إلا أنى لم أحج ماشيًا ولقد حج الحسن بن علي خمسًا وعشرين حجة ماشيًا وإن النجائب لتقاد معه ولقد قاسم الله ماله ثلاث مـرات حتى إنه يعطى الخف ويمسك النعل ، وكـان الحسن بن علي إذا أوى إلى فراشـه قرأ الكهف . قال سعـيد بن عبـد العزيز (فقيـه في أيام المنصور الخليفة العباسى وهو من بني مخزوم) سمع الحسن بن علي رجلاً إلى جنبه يسأل الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف فـبعث بها إليه ، وما أثر عنه أن أبا رافع أتى الحسن بن علي وهو يصلى عاقصًا رأسه فحله فأرسله فقال الحسن: ما حملك على هذا قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يصلى الرجل عاقصًا رأسه .

وروي أن أبا رافع مر بالحسن رضى الله عنه وقد غرز ضفيرته في قفاه فحلها فالتفت مغضبًا قال : أقـبل على صلاتك ولا تغضب فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : ذلك كفل الشيطان يعنى مقعد الشيطان .

٢ - فقهه :

على الرغم من أنه لم يعش كـثيـرًا لكنه روى أحاديث عـن جده ومنهـا قال الحسن بن علي بن أبى طالب قال النبي ﷺ :

١ - « النسـر إذا صاح قـال : يا ابن آدم عش ما شـئت فآخـرك الموت وإذا صاح العقاب قال في البعـد من الناس الراحة ، وإذا صاح القنبر قال : إلهى العن مبغضى آل محمد وإذا صاح الخطاف قرأ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ إلى آخرها فيقول : ﴿وَلا الضَّالِّينَ﴾ ويمد بها صوته كما يمد القارىء » .

٢ - وأخرج الطبراني عن الحسن بن علي قال : « جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إني جبان وضعيف ، فقال : هلم إلى جهاد لا شوكة فيه : الحج » .

٣ - وأخرج الطبراني بسند حسن عن الحسن بن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « من قرأ آية الكرسي في دبر الصلاة المكتوبة كان في ذمة الله إلى الصلاة الأخرى » .

٤ - خرج القضاعي في مسند الشهاب عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال : « قال رسول الله ﷺ إن أحسن الحسن الخلق الحسن » .

٥ - أخرج الطبراني عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال : سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول : « من أدمن الاختلاف إلى المسجد أصاب أخا مستفادًا في الله ،وعلمًا مستطرفًا ، وكلمة تدعوه إلى الهدى ، وكلمة تصرفه عن الردى ، ويترك الذنوب حياء وخشية أو نعمة أو رحمة منتظرة » .

٦ - أخرج الديلمي عن الحسن بن علي رفعه « كلوا اليقطين ، فلو علم الله عز وجل شجرة أخف منها لأنبتها على يونس عليه السلام ، وإذا اتخذ أحدكم مرقًا فليكثر فيه من الدباء ، فإنه يزيد في الدماغ وفي العقل » .

٧ - أخرج الطبراني وابن عساكر وابن مردويه عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال: سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: «إن في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء يوم القيامة فلا يرفع لهم ديوان ، ولا ينصب لهم ميزان يصب عليهم الأجر صبًا وقرأ : ﴿ **إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾ .

٨ - أخرج الطبراني عن الحسن بن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد ، إلا زيد يوم القيامة بسياط من نار » .

٩ - عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ أُري بني أمية على منبره ، فساءه ذلك فنزلت : ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [الكوثر : ١] يعني نهرًا في الجنة ، ونزلت : ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾ يملكها بعدك بنو أمية. قال القاسم بن الفضل الحداني : فعددناها ، فإذا هي ألف شهر ، لا تزيد يومًا ، ولا تنقص يومًا . (حديث غريب) يقصد خلافة بني أمية .

١٠ - وأخرج الديلمي عن الحسن بن علي - رضي الله عنهما - مرفوعًا : «لو علم الله شيئًا من العقوق أدنى من (أف) لحرمه » .

١١ - وأخرج الطبراني وابن مردويه وابن النجار عن الحسن بن علي رضى الله عنه قال : قالوا : يا رسول الله أرأيت قول الله : ﴿ **إن الله وملائكته يصلون على النبي** ﴾ قال : « إن هذا لمن المكتوم ، ولولا إنكم سألتمونى عنه ما أخبرتكم إن الله وكل بي ملكين لا أذكر عند عبد مسلم فيصلى علي إلا قال ذانك الملكان: غفر الله لك ، وقال الله وملائكته جوابًا لذينك الملكين : آمين ،ولا أذكر عند عبد مسلم فلا يصلى علي إلا قال ذلك الملكان : لا غفر الله لك ، وقال الله وملائكته لذينك الملكين : آمين » .

ولكنها لم يأخذ بها علماء الحديث بل أضعفوها ولم يأخذوا بهذه الأحاديث وكان الحسن بن علي على الرغم من أنه راوى أحاديث إلا أنه كان فقيهًا ولكنه كان لا يعتمد عليه في مسألة الإفتاء بشكل تام لأنه هو نفسه كان يستشير عبد الله بن عباس حبر هذه الأمة .

١ - فقضى بأن اللقيط حر ، وتلا ﴿ **وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ** ﴾ [يوسف : ٢٠] وإلى هذا ذهب أشهب صاحب مالك ، وهو قول عمر بن الخطاب ، وكذلك روى عن علي وجماعة ، أفتى بأن المرأة المسلمة التى هجرت زوجها وارتدت عن دينها فعودة لزوجها تكون بعد عامين من التراضى .

٢ - وأخرج عبد بن حميد في كتاب الإيمان عن شعبة مولى ابن عباس قال: قلت لابن عباس : إن الحسن بن علي سئل عن الخمر أمن الكبائر هى ؟ فقال : لا . فقال ابن عباس : قد قالها النبي ﷺ : « إذا شرب سكر وزنى وترك الصلاة فهى من الكبائر » . وأخرج أحمد والبخارى والترمذى والنسائى وابن جرير عن ابن عمرو عن النبي ﷺ قال : « الكبائر : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، أو قتل النفس - شك شعبة - واليمين الغموس » ولذلك حكم الحسن بن علي رضى الله عنهما بأن شرب الخمر ليست من الكبائر واعتبر أن شرب الخمر مع الزنا مع ترك الصلاة هو الذى من الكبائر وليس الخمر وحده .

٣ - وحكم بأن متاع المرأة بعد الطلاق عشرين ألف درهم وكان يمتع نسائه بذلك بعد فراقهم .

وإذا نظرنا لهذه الأحكام فمعنى أن اللقيط حر فهذا صحيح لكن الفقهاء بعد ذلك توقفوا عند كلمة لقيط فهو عرضة أن يقع تحت أيدى من البشر تدعى نسبه إليه فيقول الشيخ عبد الغنى الميدانى الذى قام بشرح كتاب العالم القدوري في

الفقه وهو من علماء القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى الذى يقول فيه (اللقيط: حر مسلم ، ونفقته من بيت المال) . فإن التقطه رجل لم يكن لغيره أن يأخذه من يده ، فإن ادعى مدع أنه ابنه فالقول قوله ، وإن ادعاه اثنان ووصف أحدهما علامة في جسده فهو أولى به ، وإن وجد في مصر من أمصار المسلمين أو في قرية من قراهم فادعى ذمى أنه ابنه ثبت نسبه منه وكان مسلمًا ، وإن وجد في قرية من قرى أهل الذمة أو في بيعة أو كنيسة كان ذميًا ، ومن ادعى أن اللقيط عبده لم يقبل منه ، فإن ادعى عبد أنه ابنه ثبت نسبه منه ، وكان حرًا ، وإن وجد مع اللقيط مال مشدود عليه فهو له ، ولا يجوز تزويج الملتقط ولا تصرفه في مال اللقيط ، ويجوز أن يقبض له الهبة ويسلمه في صناعة ويؤاجره » فهنا نرى أن حكم اللقيط ليس كلمة مطلقة أن نقول هو حر فاللقيط هنا ممكن أن ندعى أنه مسيحى على الرغم من أنه يكون مسلمًا فمسألة الحرية هنا مقيدة ولكن لا يمنع أن الإمام الحسن أفتى بالصحيح لكن دون التام .

أما عن المسألة الثانية أن شرب الخمر ليس من الكبائر فيكفينا « رد الخطيب الشربينى (شيخ الأزهر أيام عباس الأول حاكم مصر منذ عام ١٨٤٨ - ١٨٥٤م) وشربه من كبائر المحرمات بل هى أم الكبائر كما قاله عمر وعثمان رضى الله تعالى عنهما والأصل في تحريمها قوله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم ﴾ وهو الخمر عند الأكثرين واستشهد له بقول الشاعر :

شربت الإثم حتى ضل عقلى   كذاك الإثم يذهب بالعقول

وتظافرت الأحاديث على تحريمها ، روى أبو داود أن رسول الله ﷺ لعن الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وآكل ثمنها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وقال ﷺ : « من شربها في الدنيا ولم يتب حرمها الله عليه في الآخرة » ورد الخطيب الشربينى يؤكد لك أن الصحابة قبل الحسن أفتوا بأنها كبيرة من الكبائر فكيف الحسن يفتى أنها ليست من الكبائر .

أما عن المسألة الثالثة فهو الإمتاع فهو حكم جيد ولكن يعتبر رأى وكذلك للإمام الحسن آراء أخرى أن قضاء حاجة لمسلم أفضل من اعتكاف وهذا رأى جيد مبنى على حكم شرعى من السنة المحمدية .

١ - كذلك للحسن إسهامات في مجال التاريخ سواء قبل الإسلام أو بعد الإسلام فقد أخرج أبو يعلى وابن عساكر عن الحسن بن علي ، أنه لما قتل علي

قام خطيبًا فقال : والله لقد قتلتم الليلة رجلاً في ليلة نزل فيها القرآن ، فيها رفع عيسى ابن مريم ، وفيها قتل يوشع بن نون ، وفيها تيب على بني إسرائيل ، وأخرج المرهبى في فضل العلم عن الحسن بن علي رضى الله عنهما قال : لما فتح الله على نبيه ﷺ خيبر دعا بقوسه واتكأ على سيتها ، وحمد الله وذكر ما فتح الله على نبيه ونصره ، ونهى عن خصال : عن مهر البغي ، وعن خاتم الذهب ، وعن المياثر الحمر ، وعن لبس الثياب القسي ، وعن ثمن الكلب ، وعن أكل لحوم الحمر الأهلية ، وعن الصرف ، الذهب بالذهب والفضة بالفضة بينهما فضل، وعن النظر في النجوم .

٢ - وأخرج ابن جرير عن الحسن بن علي رضى الله عنهما قال : كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة مضت من رمضان .

٣ - أخرج ابن مردويه عن مقسم قال : لقيت الحسن بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهما ، فقلت له : أى الأجلين قضى موسى ، الأول أو الآخر ؟ قال: الآخر ، وهنا نرى أن حتى الطبري أخذ بالرأى الذى اعتبر أن القرآن كان نزوله مع موقعة بدر ، وإن كان لم يأخذ المؤرخين بجميع آراء الحسن بن علي .

وللحسن رضى الله عنه إسهامات في التفسير وهى أقوى الإسهامات التى أسهم بها الإمام الحسن رضى الله عنه .

١ - أخرج ابن جرير وابن مردويه عن الحسن بن علي أن رجلاً سأله عن قوله : ﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾ قال : هل سألت أحدًا قبلي ؟ قال : نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا : يوم الريح ويوم الجمعة ، فقال : لا ولكن الشاهد محمد ﷺ ثم قرأ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ [الأحزاب : ٤٥] . ﴿**وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَؤُلَاءِ** ﴾ [النحل : ٨٩] والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ﴿**ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ** ﴾ [هود : ١٠٣] .

٢ - حدثنى الحسن بن علي ، قال ثنا أبي ، قال : ثنا مبارك عن الحسن : قال الله لنبيه ﷺ : ﴿ **أقم الصلاة طرفي النهار وزلفًا من الليل** ﴾ قال : زلفًا من الليل : المغرب والعشاء. قال رسول الله ﷺ: «هما زلفتا الليل المغرب والعشاء».

٣ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن منصور ، عن مجاهد ،مثله .

٤ - حدثنى يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف

عمن حدثه ، عن الحسن بن علي ، أنه قال : ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر** ﴾ قال : القتل بالسيف صبرًا .

٥- أخرج ابن أبى الدنيا في كتاب الدعاء والخطيب في تاريخه عن الحسن بن علي قال : أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية أن يعصمه الله من كل سلطان ظالم ومن كل شيطان مريد ومن كل سبع ضار ومن كل لص عاد آية الكرسى ، وثلاث آيات من الأعراف ﴿**إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض**﴾ وعشرًا من أول الصافات ، وثلاث آيات من الرحمن : ﴿ **يا معشر الجن** ﴾ وخاتمة سورة الحشر .

٦ - ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان عن أبى إسحاق عن الحارث ، عن عاصم ابن ضمرة عن الحسن بن علي قال : ﴿ **أدبار السجود** ﴾ الركعتان بعد المغرب .

٣ - صفاته :

وقد كان هذا الإمام سيدًا وسيمًا جميلاً عاقلاً رزينًا جوادًا ممدحًا خيرًا دينًا ورعًا محتشمًا كبير الشأن وكان منكاحًا مطلاقًا تزوج نحوًا من سبعين امرأة وقلما كان يفارقه أربع ضرائر حتى أن الإمام علي والده قال : يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه مطلاق فقال رجل والله لنزوجنه فما رضى أمسك وما كره طلق ، قال ابن سيرين تزوج الحسن امرأة فأرسل إليها بمائة جارية مع كل جارية ألف درهم .

وكان الحسن رضى الله عنه فصيحًا بليغًا عاقلاً أريبًا ، تقيًا ورعًا ، كريمًا جوادًا ، منها أن الحسن في مرة أراد أن يقسم الأموال بين الفقراء فقام نصف الناس على أساس أنهم فقراء وذلك لجوده .

ويقول أحد الرواة عن صفة الجود للحسن بن علي رضى الله عنهما : انطلقنا حجاجًا فدخلنا المدينة فدخلنا على الحسن فحدثناه بمسيرنا وحالنا فلما خرجنا بعث إلى كل رجل منا بأربع مائة فرجعنا فأخبرناه بيسارنا فقال : لا تردوا علي معروفي فلو كنت على غير هذه الحال كان هذا لكم يسيرًا أما إنى مزودكم إن الله يباهى ملائكته بعباده يوم عرفة وفي الفصاحة والبلاغة خطبنا الحسن بن علي يوم جمعة فقرأ سورة إبراهيم على المنبر حتى ختمها .

كان بين الحسن ومروان كلام فأغلظ مروان له والحسن ساكت فامتخط مروان بيمينه فقال الحسن ويحك أما علمت أن اليمين للوجه والشمال للفرج أف لك فسكت مروان .

ومن ضمن صفات الحسن بن علي رضى الله عنه العفو والإعراض عن

الجاهلين حيث قال أحد الرواة : دخلت المدينة فرزيت الحسن بن علي عليهما السلام ، فأعجبنى سمته وحسن ورائه ، فأثار منى الحسد ما كان يجنه صدرى لأبيه من البغض ، فقلت : أنت ابن أبى طالب ؟ قال : نعم ، فبالغت في شتمه وشتم أبيه ، فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف ، ثم قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ فقرأ إلى قوله : ﴿ **فإذا هم مبصرون** ﴾ ثم قال لي : خفض عليك أستغفر الله لي ولك إنك لو استعنتنا أعناك ، ولو استرفدتنا أرفدناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ، فتوسم فيّ الندم على ما فرط منى فقال : ﴿ **لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [يوسف : ٩٢] . أمن أهل الشام أنت ؟ قلت : نعم ، فقال : شنشنة أعرفها من أخزم حياك الله وبياك ، وعافاك ، وآداك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك ، تجدنا عند أفضل ظنك ، إن شاء الله ، فقلت : فضاقت علي الأرض بما رحبت ، وودت أنها ساخت بي ، ثم تسللت منه لواذًا ، وما على وجه الأرض أحب إلي منه ومن أبيه .

ومن ضمن الصفات الأخرى التى كان يتحلى بها سيدنا الحسن رضى الله عنه هى التواضع ، فقد مر بمساكين قد قدموا كسرًا بينهم وهم يأكلون فقالوا : الغذاء يا أبا عبد الله ، فنزل وجلس معهم ، وقال : ﴿ **إنه لا يحب المستكبرين** ﴾ فلما فرغ قال : قد أجبتكم فأجيبونى ، فقاموا معه إلى منزله فأطعمهم وسقاهم وأعطاهم وانصرفوا .

وكان الحسن يخضب بالسواد ويحمل خاتم عليه : اذكر الله .

رحمك الله يا مولاي وإمامي الحسن ورضى الله عنك

❊ ❊ ❊

الحسين بن علي رضي الله عنهما
سبط النبي ﷺ وريحانته

لقد ضرب آل البيت أروع الأمثلة في البطولة التى تتحرى الحق وتعمل من أجله ولقد اتخذوا من رسول الله ﷺ مثلهم الأعلى في عدم التخلي عن إرادة الحق والعمل من أجل الحق وإن رسول الله ﷺ حينما قال لعمه أبى طالب : «والله يا عم لو وضعوا الشمس في يمينى ، والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ، ما تركته » .

إن رسول الله ﷺ حينما قال ذلك إنما قاله عن شعور اختلط بلحمه ودمه ، وقاله عن إيمان خالط شغاف قلبه ومن أوائل من اتبعه آل بيته ﷺ ، لقد اتبعوه عن إيمان مطلق ، واتبعوه لأنهم منه واتبعه الإمام الحسين رضى الله عنه لأنه منه : « حسين مني وأنا من حسين » كما يقول ﷺ .

إن الإمام الحسين رضى الله عنه مثل خالد في التاريخ العالمى فهو لم يرد الحكم للسيطرة وشهوة السلطان ولو كان رضى الله عنه فعل ذلك لكان ملكًا لا خليفة ، وهو رضى الله عنه لم يكن يريد ملكًا ، وإنما كان يريد الخلافة لرسول الله ﷺ يكون القرآن أساس تصرفاتها ، عنه تصدر وإلى غاياته تتجه ، فإذا نابهم أمر فإن سلوك رسول الله ﷺ تفسير وتوضيح وبيان .

ولم يقبل الإمام الحسين رضوان الله عليه أن يفعل خلاف ما يؤمن به ، فلم يصغ إلى مشورة هذا أو ذاك ممن يريدون أن يسير في سياسته على طريقة الخداع أو المداهنة أو تدبير المؤامرات الخفية ، كلا إنه صدع بالحق الذى آمن به ، فكان بذلك مثلاً كريمًا للقائم بالحق ، لا يتأتى أن تجود الأمة بمثله ، اللهم إلا في ندرة نادرة وإن صلابة الإمام الحسين رضى الله عنه في سبيل الخلافة - أى في سبيل القانون الإلهى - إنما هو مثل كريم لكل من ينشد السير بالإنسانية إلى ما يحب الله ورسوله ، واستشهد سيدنا الحسين رضى الله عنه في سبيل الحق وسفكت دماء مع دمه الطاهر في سبيل الحق . . .

يقول الإمام الحسين سبط رسول الله ﷺ : « صرفنا النظر عن متاع الدنيا وأفقدنا أنفسنا حاجياتها ووجهت علينا الحياة إلى مراد الآخرين » .

هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة الإمام السيد سبط (حفيد) رسول الله ﷺ وسيد شباب أهل الجنة ، أبو محمد القرشي الهاشمى المدنى الشهيد وأمه سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء ابنة رسول الله ﷺ هو خامس أهل الكساء وهو شهيد كربلاء ، وحفيد السيدة خديجة سيدة نساء العالمين رضى الله عنها والتى عقمت النساء أن يلدن مثلها .

مولده :

ولد الإمام الحسين بن علي رضى الله عنهما في الخامس من شعبان من العام الرابع للهجرة ، ويقع تقريبًا في العاشر من يناير لعام ٦٢٦ م .

ألقابه :

وللإمام الحسين رضى الله عنه ألقاب كثيرة منها: الرشيد، الطيب، الزكى ، الوفي ، السيد ، المبارك ، السبط .

وقال ﷺ : « حسين سبط من الأسباط » .

حبيب النبي ﷺ :

طفولة سيدنا الحسين رضى الله عنه :

ونشأ الحسين في حجر جده النبي ﷺ مع أخيه الحسن ، حدث عن جده وأبويه وصهره عمر بن الخطاب رضى الله عنه (زوج السيدة أم كلثوم بنت علي ابن أبي طالب والتى أنجبت له زيد ورقية) وطائفة ، حدث عنه ولداه علي زين العابدين وفاطمة زوجة (الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب ثم خلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان) وعبيد بن حنين (من فقهاء المدينة المنورة) وهمام (الفرزدق الشاعر) وعكرمة (مولى ابن عباس) والشعبي (من تلامذة الإمام علي بن أبي طالب وهو من أئمة أهل الكوفة) وطلحة العقيلي (من أئمة الحديث ومن تلامذة الإمام الحسن البصرى) وابن أخيه زيد بن الحسن وحفيده محمد بن علي الباقر ولم يدركه وبنته سكينة وآخرون .

أما عن الأحاديث الواردة في سيدنا الحسين رضى الله عنه الخاصة به دون ذكر أخيه الحسن رضى الله عنهما معه :

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كان الحسين عند النبي ﷺ وكان يحبه حبًا شديدًا فقال : « اذهب إلى أمك » فقلت أذهب معه فقال : « لا » فجاءت

برقة فمشى في ضوئها حتى بلغ إلى أمه .

وعن جابر بن عبد الله الأنصارى (الخزرجى) أنه قال : وقد دخل الحسين المسجد فقال الرسول ﷺ : « من أحب أن ينظر إلى سيد شباب الجنة » - الرسول ﷺ يوضح أن الحسين من أهل الجنة - .

وأثر عن النبي ﷺ أنه سمع حسينًا يبكى فقال لأمه : « ألم تعلمى أن بكاءه يؤذيني » .

ومن الأحاديث الغريبة التى دارت في شأن الحسين بمفرده وهو علم الرسول ﷺ بمصير الحسين عليه السلام حيث استأذن ملك القطر على النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « يا أم سلمة احفظى علينا الباب » فجاء الحسين فاقتحم وجعل يتوثب على النبي ﷺ ورسول الله يقبله ، فقال الملك : أتحبه قال : « نعم » ، قال : إن أمتك ستقتله إن شئت أريت مكان الذى يقتل فيه ، قال : « نعم » فجاءه بسهلة أو تراب أحمر قال ثابت : كنا نقول إنها كربلاء ، فقال النبي ﷺ : « كرب وبلاء » .

خرج الحسين بن علي رضى الله عنه فوطىء في ثوب كان عليه فسقط فبكى فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر ، فلما رأى الناس أسرعوا إلى الحسين رضى الله عنه يتعاطونه ، يعطيه بعضهم بعضًا حتى وقع في يد رسول الله ﷺ فقال : «قاتل الله الشيطان ، إن الولد لفتنة ، والذى نفسى بيده ما دريت أنى نزلت عن منبري » .

الحسين في مدرسة الرسول ﷺ :

لقد تربى الحسين مع آخيه في المدرسة المحمدية ، ونشأ في ظلالها يحنو عليهما النبي ﷺ ويأخذ عن أبيه وأمه خلاصة الهدى النبوي الكريم وقد حفظ الحسين القرآن الكريم وهو حديث السن وأدرك معانيه وفهمه فنشأ ورعًا تقيًا عابدًا زاهدًا بليغًا ، وأخذ من أبيه فصاحته وبلاغته فقد كان الإمام علي كرم الله وجهه غاية في الفصاحة والبلاغة ، وكان يقبل على أبنائه يلقنهم روائع الحكمة وبدائع القول .

يحكى الرواة أن عليًا كرم الله وجهه كان يعلم صبيانه كيف يصلون على النبي ﷺ ويلقنهم هذه الصلاة : « اللهم داحى المدحوات (الأرض) وداعم المسموكات (السماء) وجابل القلوب على فطرتها ، شقيها وسعيدها ، اجعل

شرائف صلواتك ونواحي بركاتك على محمد عبدك ورسولك ، الخاتم لما سبق ، والفاتح لما انغلق ، والمعلن الحق بالحق والدافع جيشات الأباطيل والدامغ صوت الأضاليل ، كما حمل فاضطلع (نهض قويًا) قائمًا بأمرك ، مستوفزًا (مسارعًا) في مرضاتك ، غير ناكل (ناكص ومتأخر) عن قدم (المشى إلى الحرب) ولا واه في عزم ، واعيًا لوحيك حافظًا لعهدك ، ماضيًا على نفاذ أمرك ، حتى أورى (أشعل) قبس (الشعلة) القابس ، وأضاء الطريق للخابط ، وهديت به القلوب والآثام ، وأقام موضحات الأعلام ، ونيرات الأحكام ، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيثك بالحق ، ورسولك إلى الخلق » .

« اللهم افسح له مفسحًا في ظلك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك ، اللهم أعل على بناء البانين بناءه ، وأكرم لديك منزلته وأتم له نوره » .

وإلى جانب تعليم أولاده الفصاحة وحسن القول كان يعلمهم مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات وفعل الخيرات .

وهكذا نشأ الحسين رضى الله عنه على الصدق والتقوى وحب الخير والابتعاد عن مواطن الريبة والشر ، ولم يلبث إلا أن قبض الله روح رسوله الطاهرة في يوم الاثنين ربيع الأول عام ١١ هـ الموافق ١٢ يونيو ٦٣٢ م وتولى بعده الخلافة أبو بكر الصديق رضى الله عنه .

سيدنا الحسين رضى الله عنه في عهد الشيخان رضى الله عنهما :

كما روينا أن الحسن بن علي قد ماتت أمه فاطمة الزهراء رضى الله عنها ، وقد ذكر المؤرخون بأن الحسين أشبه بالرسول ﷺ ما كان أسفل من ذلك ، ولكن توجد حادثة خاصة لسيدنا الحسين في عهد عمر بن الخطاب ، كما رواه هو رضى الله عنه : « صعدت المنبر إلى عمر فقلت : انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك ، فقال : إن أبى لم يكن له منبر فأقعدنى معه فلما نزل قال : أى بني من علمك هذا قلت ما علمنيه أحد قال : أى بنى وهل أنبت على رؤوسنا الشعر إلا الله ثم أنتم ووضع يده على رأسه وقال : أى بني لو جعلت تأتينا وتغشانا » .

سيدنا الحسين رضى الله عنه في الفتنة الكبرى :

أما عن الحسين فهو على النقيض من أخيه الحسن رضى الله عنه فكان في المواقع التى قام بها أبوه للحفاظ على وحدة المسلمين والدفاع عن كرامة الخلافة ، فقد شارك أباه في موقعة الجمل حيث كان على الميسرة والتى انتهت برجحان كفة الإمام علي رضى الله عنه وقتل فيها الصحابيان الجليلان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وهما من العشرة المشهود لهم بالجنة ، وكانا قد ندما على خروجهما كما ندمت السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وأثر عنها أنها قالت : يا ليتنى قعدت كما قعدت صواحبي عنها ، وشارك في موقعة صفين التى انتهت برجحان كفة الإمام علي رضى الله عنه ، وأوشكت الهزيمة أن تحيق بجيش خصومه لولا أن لجأ الخصوم إلى حيلة رفع المصاحف على أسنة الرماح وطلبوا التحكيم ، وقبل صفين يروى الرواة عن علم علي بن أبى طالب بمصير ابنه الحسين فيقولون : فلما حاذى علي نينوى وهو سائر إلى صفين نادى على ابنه الحسين : اصبر أبا عبد الله بشط الفرات ثم قال : ليقتلن الحسين قتلا وإنى لأعرف تراب الأرض التى يقتل بها ، ثم شارك في موقعة النهروان التى كانت ضد الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي رضى الله عنه .

وقد استبسل الحسين في قتال الخوارج وقاتل قتالاً عنيفًا حتى هُزمت طائفة الخوارج التى أثارت الفتن والقلاقل ، ومن العجيب أنهم كانوا مضرب المثل في المغالاة في العبادة ولكنها عبادة لا قيمة لها ولا ثواب حيث أخبر النبي ﷺ : «يخرج قوم من أمتى يقرءون القرآن ، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء ، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم » وفي رواية أخرى : « يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » .

وبعد استشهاد الإمام علي بن أبى طالب كرم الله وجهه تنازل الإمام الحسن رضى الله عنه عن الخلافة راضيًا حقنًا لدماء المسلمين ، ولكن الإمام الحسين رضى الله عنه غضب منه وقال : لا تتنازل عن الخلافة وامض في طريق الجهاد ولكن الحسن أصر على موقفه فخضع له الحسين ، ورفض الحسين مبايعة معاوية بن أبي سفيان ريثما ما دام الإمام الحسن حيًا رضى الله عنه ، وسكن الإمام الحسين رضى الله عنه عن المناهضة بعد موت أخيه الحسن رضى الله عنهما .

سيدنا الحسين رضى الله عنه في عهد معاوية بن أبي سفيان :

بعد وفاة سيدنا الحسن رضى الله عنه أمَّ الشيعة سيدنا الحسين رضى الله عنه ولم يكن للحسين رضى الله عنه أى نشاط سياسي في عهد معاوية سوى ما قاله الذهبى قدم المسيب بن نجبة (أحد رؤوس الشيعة) وعده إلى الحسين رضى الله عنه بعد وفاة الحسن رضى الله عنه فدعوه إلى خلع معاوية وقالوا : قد علمنا رأيك ورأى أخيك فقال : أرجو أن يعطى الله أخى على نيته وأن يعطينى على نيتى في حبى جهاد الظالمين .

وكتب مروان بن الحكم إلى معاوية إنى لست آمن أن يكون الحسين مرصدًا للفتنة وأظن يومكم منه طويلا ، فكتب معاوية إلى الحسين إن من أعطى الله صفقة يمينه وعهده لجدير أن يفى وقد أنبئت بأن قومًا من الكوفة دعوك إلى الشقاق وهم من قد جربت قد أفسدوا على أبيك وأخيك فاتق الله واذكر الميثاق فإنك متى تكدنى أكدك ، كتب إليه الحسين أتانى كتابك وأنا بغير الذى بلغك جدير وما أردت لك محاربة ولا خلافًا وما أظن لي عذرًا عند الله في ترك جهادك وما أعلم فتنة أعظم من ولايتك فقال معاوية : إن أثرنا بأبى عبد الله إلا أسدًا ، على الرغم من محاولة الشيعة بالانقلاب ضد السلطات الأموية في عام ٥١ هـ التى أودت بحياة حجر بن عدى الكندى (وهو من أنصار الإمام علي بن أبى طالب رضى الله عنه وهو من قبيلة كندة رهط الشاعر امرؤ القيس والذى كان أمير الشعراء في العصر الجاهلي عم أبى الأشعث بن قيس وكان حجر قد اشترك في المواقع مع الإمام ضد الخوارج ، والأشعث الذى كان من ضمن وفد كندة للرسول ﷺ لإعلان الإسلام وكان يسبق في الحديث أبيه قيس ولم يحترم وجوده فقال عنه الرسول ﷺ « فجور من صلب كيس » ومن هنا يظهر رفض الإمام الحسين عليه السلام لهذا الموضوع بأن يلى الخلافة .

واشترك الإمام الحسين رضى الله عنه في فتح القسطنطينية تحت إمرة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وخرج في ذلك الجيش كثير من الصحابة ومنهم أبو أيوب الأنصارى الذى توفى في أثناء هذه الغزوة ، ودفن هناك بجوار أسوار القسطنطينية وقبره هناك يستسقى به ، وقد قال النبي ﷺ في شأن هذه الغزوة : « أول جيش يغزو مدينة قيصر مغفور لهم » .

حدث أن أخذ معـاوية بن أبى سفيان أن يجبـر الناس على بيعة ابنه يزيد بن معاوية بن أبي سفيـان ولكنا سندع الحديث للدكتورة نبيلة حسن محـمد في كتابها تاريخ الدولة العربية ص ١٨٦ - ١٨٨ :

(أما عن زعماء أهل المديـنة فإنهم وافقوا على مبدأ تعيين ولـي العهد عندما سمعوا أن معاوية يرغب في تعيين ولي للعهد واتفقوا على ذلك ولكنهم رفضوا أن يكون المرشح هو يزيد بن معاوية فلقد قال عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه لمروان بن الحكم عندما عرض هذا الأمر : « كذبت والله يا مروان وكذب معاوية ما الخيار أردتما لأمة مـحمد ولكنكم تريدون أن تجعلوها هرقلية مات هرقل قام هرقل » وأنكر كذلك الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير البيعة ليزيد ، ولكن معاوية لـم يهتم لهذه المعارضة فـجمع وفود أهل العراق في الشام وفكر معاوية في أن يلقى الأمر عن طريق أحد أتباعه وهو الضحاك بن قيس الفهرى وعندما اجتمع الناس قال الضـحاك هذا أمـير المؤمنين - وقـد أشار على يزيد بن مـعاوية بن أبي سفيان - فـمن أبى ، فهذا - يعني السيف - فقال له معـاوية : اجلس فأنت سيد الخطباء ، وبعد بيعة أهل العراق وأهل الشـام رأى معاوية أن يسير إلى الحجاز وأن يتفقد المعـارضين من أبناء المهاجرين والأنصار بنفسه فـتقول الروايات أنه التقى في المدينة بالحسين بن علي فأغلظ له وكذلك فعل مع عبد الله بن عمر وعبد الرحمن ابن أبى بكر وعبد الله بن الزبير فـاضطروا إلى الخروج إلى مكة غاضبين ، ولكن معاوية تبعـهم وحاول أن يكتسبهم باللين ولكنهم لم يلبـوا وقبل أن يرحل معاوية جمعهم وكلمهم في البيعة ولكن ابن الزبير تكلم نيابة عنهم وطلب إلى معاوية أن يفعل كما فـعل النبي وأبو بكر ولم يجد معاوية بدًا من استـخدام العنف فهددهم بضـرب رقابهم إن عـارضوه وأعلن مـعاوية في حـضرتهم وأمـام جمهـرة الناس والحراس وقوف على رؤوسهم بالسلاح وقـال : إن سادة المسلمين وخيارهم هؤلاء بايعوا يزيد فبايع الناس وعاد معاوية إلى الشام وهو غاضب على بنى هاشم فلحق به عبد الله بن العباس في العام التالى محاولاً استرضاءه وكان هذا في عام ٥٦ هـ الموافق عام ٦٧٦ م) .

ويضيف الأستـاذ خالد محمـد خالد في حياة عبـد الرحمن بن أبى بكر في ص٥٥٧ إنه عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق مات كمدًا وحزنًا على ما حدث من حال أمة محمد عليه الصلاة والسلام في عام ٥٨ هـ الموافق لعام ٦٧٨ م .

سيدنا الحسين رضى الله عنه ومأساة كربلاء :

ثم تمضى الأيام ويموت معاوية بن أبي سفيان في غرة رجب لعام ٦٠ هـ الموافق الثامن والعشرين من مارس لعام ٦٨٠ م ومن هنا تبدأ مأساة كربلاء الذى سيروى لنا من ضوء حديث الطبرى :

(تبدأ الأحداث مع حلول شهر رجب عام ٦٠ هـ في الثامن والعشرين من مارس لعام ٦٨٠ م فيقول الطبري : إن الشغل الشاغل ليزيد بن معاوية هو بيعة الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر رضوان الله عنهم بالخلافة له لذلك قام بالضغط على والي المدينة المنورة الأموى الوليد بن عتبة بن أبى سفيان (ابن عم يزيد بن معاوية وأبيه كان والي مصر في عهد معاوية بن أبى سفيان وهو مدفون في رأس التين بالإسكندرية ولكن لا يعلم أين قبره بالتحديد) لكى يجبره على البيعة ولكن الوليد كان يخشى الفتنة فلم يقم بالضغط عليه بعد حديث دار بينه وبين الحسين رضى الله عنه في حضرة مروان بن الحكم الذى احتد الحديث بينه وبين الحسين بن علي رضى الله عنه مما اضطر الحسين إلى أن يرحل عن المدينة المنورة إلى مكة المكرمة ليلاً في الثانى من رجب لعام ٦٠ هـ الموافق التاسع والعشرين من مارس لعام ٦٨٠ م ورفض معه كذلك عبد الله بن الزبير بن العوام وبايع عبد الله بن عمر بن الخطاب وعندما وصل سيدنا الحسين رضى الله عنه مكة المكرمة قام يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بعزل الوليد بن عتبة عن المدينة في رمضان لعام ٦٠ هـ الموافق يونيو ٦٨٠ م وولى عليها عمرو بن سعيد بن العاص (وعمرو هذا كان من ألد أعداء عبد الملك بن مروان وقد قتل في عهده في عام ٦٩ هـ الموافق عام ٦٨٨ م) وكان يضع عصابة سوداء على عينيه مثل القراصنة فلذلك لقب بالأشدق وأبوه سعيد بن العاص والي العراق لعثمان بن عفان وكان والي المدينة المنورة لمعاوية بن أبي سفيان أيام وفاة سيدنا الحسن بن علي رضى الله عنهما وجده العاص بن سعيد بن العاص قتل كافراً يوم بدر على يد حمزة بن عبد المطلب عم الرسول وجده الأكبر سعيد أبا أحيحة أحد كبار المستهزئين) والى مكة المكرمة فجمع مكة والمدينة في آن واحد وذلك لتعقب الحسين وعبد الله بن الزبير رضوان الله عنهما .

ولكن حدثت مناوشة بين عبد الله بن الزبير وبين عمرو بن سعيد في شهر ذى القعدة لعام ٦٠ هـ الموافق أغسطس لعام ٦٨٠ م حيث أرسل عمرو بن سعيد

ابن العاص عـمرو بن الزبيـر بن العوام (وكان ابن خـاله أى كانت أم عـمرو بن الزبير من بنى أمية وهى بنت الصحابي الفـاضل خالد بن سعيد بن العاص) على رأس قوات محاربة لحرب عبد الله بن الزبير الذى اعتصم بمكة المكرمة وأخذ البيعة له في السر - وكـان عبد الله يتـمنى أن يخرج الحسين رضى الله عنه من الحـجاز لتعلق أهل الحجاز به - وانتهت تلك المناوشة بانتصار جزئى لعبد الله بن الزبير بن العوام وهذا ما شغل الأمويون عن الحسين رضى الله عنه فـقام باستقبال رسل أهل الكوفة للبيـعة الذين ألحوا مع بدايات شهر رمضـان لعام ٦٠ هـ مع بدايات يونيو عام ٦٨٠ م حتى وافق الحسين على حديثهم فأرسل مسلم بن عقيل بن أبى طالب ويورد الطبـرى رواية عن رجل يدعى يزيد بن نبيط (وهو رجـل من قبيـلة عذرة وكان مواليًا للأمـويين وعندما علم بوفاة معـاوية أراد أن يشترك مع الشيـعة لعلمه بضعف يزيد) الذى أخـذ يلح على سيدنا الحـسين رضى الله عنه أن أهل الكوفة معه ولن يخذلوه وهو مـستعد بأن يضحى بنفسه هو وأبنائه العشـرة فأرسل سيدنا الحسين رضى الله عنـه ابن عمه مـسلم بن عقيل وزوج أخـته أم كلثوم الصـغرى (وهو جد المؤرخ الشهير عبد الرحمن الجبرتى) الذى تاه في الطريق وكان قد مات الدليلان اللذان معـه وكان مع مسلم بن عقـيل قيس بن مسهـر الصيداوى (ربيب سيدنا الحسين عليه السلام) فأرسل رسالة بـعد أن تشاءم من هذه المهمة يعفيه من هذه المهمة .

ولكن الحسين ضغط عليه فذهب مسلم لأخـذ البيعة للحسين من أهل الكوفة في الثامن من يوم ذى الحجة لعام ٦٠ هـ الموافق الثلاثين من أغسطس لعام ٦٨٠م وكان الوالي على الكوفة هو النعمـان بن بشير الأنصارى الخزرجى (وهو من أول المولودين في المدينة المنورة بعد عبد الله بن الزبيـر وقد أشرف على ميلاده الرسول ﷺ وقد مات النعمان هذا في عام ٦٥ هـ الموافق عام ٦٨٤ م) وكان النعمان هذا من النساك ويحب اللين لا الشدة ولا يريد القتال فترك الأمور معلقة بعد أن خطب في أهل الكوفة فتـرصد له عبد الله بن مسلم الحـضرمى (والتى نزلت في أبيه آية ١٠٣ من سورة النحل والتى نصهـا قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ** ﴾) الذى راسـل يزيـد بن معـاوية في أمر النعمـان لعزله وتولية عـبيد الله بن زياد بدلاً مـنه على الكوفة ثم أرسل معه عمارة بن عقبة (شقيق الوليد بن عقبة وهو أخو عثمان بن عفان رضى

الله عنه) وكذلك أرسل عـمر بن سعد بـن أبي وقاص في عزل النعمـان وعندما وجد يزيد إلحاحًا منهم استشار مولى أبيه سرجون الذى نصحه بأن يولى عبيد الله بن زياد بدلاً من النعمان فوافق على توليه على مضض منه .

وكان سـيدنا الحسين راسل أهل البـصرة ليحثـهم على بيعتـه ولكنهم أجابوا بالصمت فـيما عدا المـنذر بن الجارود (وكان أبوه والي البحـرين لسيدنا عـمر بن الخطاب رضى الله عنه) الذى قـتل رسول سيدنا الحـسين عليه السلام وكـان سر تخوفـهم هو نفوذ آل زياد بن أبى سـفيان في العـراق حيث كـان والي الكوفة هو والي البصرة عبـيد الله بن زياد الذى تركها واستخلف عليها أخـاه عثمان بن زياد ابن أبي سفيان ، وفي الكوفة علم عبيد الله بن زياد بأن أهلها تابع الحسين رضى الله عنه لأنهـا ظنته أنه هو الحـسين رضى الله عنه (وكان مـتنكرًا في عـباءة ولم تظهر ملامحـه جيدًا فألقى السلام فظنه القوم أنه الحسـين عليه السلام فردوا عليك السلام يا ابن بنت رسول الله) .

فقام عبيـد الله بمعرفة مركز الأحداث والقيادة لهذه الجمـوع الغفيرة وقد علم بحيلة من قبل أحد مواليه معقل الذى تقرب إلى مسلم بن عوسجة الأسدى (وهو من أقارب السـيدة زينب بنت جحش أم المؤمنين رضى الله عنه) الذى كـان يأخذ البيعـة من أهل الكوفة في مسجد الكوفـة بأن هانىء بن عروة المرادى (هانىء من أكابر أقوام العرب وكان من الثوار الذين انضمـوا لحجر بن عدى الكندى فعفا عنه زياد بن أبى سفيـان لأنه ذا عزوة) هو الذى يقوم بالبيعة في الوقت نـفسه صادف ذلك مرض شريك بن الأعور (من رؤوس الشيعة وكان مع الإمام علي رضى الله عنه في حـروبه) ثم وفاتـه بعد ذلك . وفي أثناء مـرض شـريك وضعت حـيلة لاغتيال عبيد الله بن زياد علمها عبيد الله بن زياد بعد أن شك في الحوار الذى دار بين شريك وبين جـاريته وهو تكرار كلمـة « اسقنى » ثلاث مرات مـع العلم أنها كانت تحمل إبريق الماء في يدها ففهم عـبيد الله أن هانىء- الذى حدث الحوار في منزله - هو الذى يقوم بأخـذ البيعة فـقام عبيـد الله بن زياد بحبسـه ومن ثم قتله والتمثيل به .

ثم قامت انتفاضة شـعبية من أهل الكوفة تزعمها مـسلم بن عقيل الذى أخذ يظهر في الأحداث ولـكن انتهت الانتفاضة كـما بدأت بالحديث بالخذلان فـابتعد أهل الكوفة عن مـسلم بن عقيل الذى ضل الطريق في شـوارع المدينة حتى وصل

إلى منزل تملكه جارية للأشعث بن قيس كانت قد أعتقت من الأشعث وتزوجت الحضرمى وأنجبت له ابن يدعى بلال الذى علم بوجوده بعد أن ضغط على أمه من الغريب الذى في الدار فأبلغ محمد بن الأشعث بن قيس الذى أتى بجموعه وقبض على مسلم بن عقيل وأحضره لعبيد الله بن زياد بن أبى سفيان الذى قام بقتله برميه من أعلى القصر .

ثم خرج سيدنا الحسين من مكة المكرمة إلى الكوفة دون انتظار الرد - وهذا ما يؤكد على أن الحسين رضى الله عنه أراد هو الآخر القيام بالثورة - ومع خروجه حدثت محاورات طويلة بينه وبين أناس من وجوه الحجاز تمنعه من الخروج فيرد الطبري بحديث عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (وهو شقيق أبي بكر أحد فقهاء المدينة وهو حنيد الحارث بن هشام من مسلمى الفتح شقيق أبي جهل عمرو بن هشام) ومن بعده عبد الله بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما ولكن للأسف حثه عبد الله بن الزبير بن العوام بالخروج وكان السبب كما أوردناه أن يتخلص منه لكى يقوم بأخذ البيعة لنفسه في الحجاز ويعتصم هو في الحجاز .

ويورد الطبرى بمحاولة باهتة لعمرو بن سعيد بن العاص لمنع الحسين للخروج من الحجاز ولكن الحسين وأصحابه صمموا على الخروج وفشل رجال عمرو بن سعيد في منع الحسين وأصحابه - وهذا يؤكد على الفوضى التى نتجت عن انتصار عبد الله بن الزبير على قوات عمرو بن سعيد بن العاص وقتل لأخيه عمرو الذى كان يقود جيش عمرو بن سعيد بن العاص - ثم تقابل الحسين بن علي رضى الله عنه مع الشاعر الفرزدق (وهو من قبيلة تميم العربية وأحد شعراء الدولة الأموية وكان سبب التسمية هو أنه كان أبيض مثل لون العجين) الذى قال له كلمته الشهيرة [سيوفهم معك (أهل الكوفة) وقلوبهم مع بنى أمية] .

وعندما وصل الحسين بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهما إلى ذات عرق (حاليًا حفر الباطن) أتته رسالة ابن عمه عبد الله بن جعفر بن أبى طالب يحثه بعدم الخروج ولكن دون جدوى ، وحاول عبد الله بن جعفر محاولة أن يمنعه ولو بقوة ولكن دون جدوى هو ويحيى بن سعيد بن العاص لكن الحسين كان مصممًا حتى أنه لما انتقل من ذات عرق إلى بطن الرمة (بجوار حفر الباطن) أرسل قيس ابن مسهر الصيداوي يجدد البيعة له ولكن قيس قبض عليه وهو في الطريق من

قبل الحصين بن نمير السكونى (وهو كان يعمل رئيسًا للشرطة مع زياد وابنه عبيد الله بن زياد وكان رجلاً جلفًا غشومًا جهولاً) الذى أرسله لعبيد الله بن زياد وهناك تم قتله بعد أن أجبر على سب الحسين بن علي رضى الله عنه وكان هذا خطأ من عبيد الله يؤكد على سوء نيته نحو آل البيت - ورفض قيس أن يسب سيده ومعلمه الحسين عليه السلام .

تمضى الأحداث قدمًا وينتهى الحسين إلى أحد مياه العرب ولم يحدد الطبرى أين موقعها ويتقابل مع عبد الله بن مطيع العدوى (وهو من رهط عمر بن الخطاب وكان من ضمن المقتولين في موقعة الحرة عام ٦٣ هـ الموافق لعام ٦٨٣م) الذى نصحه بالابتعاد دون جدوى فارتحل منها إلى زورد وهى أول العراق في ذلك الوقت وهناك علم الخبر من قبل أحد أتباعه أن مسلم تم قتله هو وهانىء ولم يعلم عن مصير قيس بن مسهر الصيداوي الذى قلق على مصيره وتوقع هو القتل فأرسل عبد الله بن بقطر (وكان ربيب سيدنا الحسين عليه السلام وكان أبوه من أقباط مصر من محافظة المنيا وأسلم وقد أرضعته زوجة سيدنا الحسين عليه السلام ليلى بنت عروة بن مسعود الثقفي وكان شقيق علي الأكبر بن الحسين في الرضاعة وصديق له) الذى تم قتله هو الآخر بنفس السيناريو الذى قتله به قيس بن مسهر الصيداوي .

ولكن صمم إخوة مسلم بن عقيل على الانتقام والأخذ بثأره وكذلك أشار عليه بعض الأصحاب بأن يستمر لأن أهل الكوفة عندما سيرونه سيعظمونه وسيقفون في صفه فأخذ برأى الاثنين وصمم على المضى فارتحل إلى زبالة (شمال أم قصر بالعراق) وهناك علم بمصير عبد الله بن بقطر ولم يعلم بمصير قيس الصيداوي وتمت المحاولات لتثنيه عن عزمه لكن دون جدوى فالحسين رضى الله عنه كان عنيدًا جدًا .

ومن زبالة استكثر من الماء خوفًا من منع الجنود الأمويون من الماء له ولأتباعه ومن هناك رحل إلى شارف (على مشارف الكوفة وكانت في الصحراء وقتها) الذى وصل إليها ورأى القوات الأموية [القوات الداخلية وليست العسكرية] بقيادة الحرب بن يزيد التميمي (في ألف شرطى) تمنعه من دخول الكوفة فأشار عليه أحد أتباعه أن يذهب إلى ذى حسم (شرق شارف) ليتحصن فيها ووصل إليها فعلاً دون جدوى لأن الحر بن يزيد دائمًا مسايرًا للحسين وحدث حوار بين

الحسين والحر وانتهى بأن يبعد الحسين عن الكوفة وعن المدينة المنورة ويكون في المنتصف فانتقل إلى البيضة (وهى غرب شارف) بأتباعه وكان يسايره كذلك الحر ابن يزيد خوفًا من أن يدخل الكوفة (وكانت هذه معاملة سيئة لشريف مثل سيدنا الحسين عليه السلام) فانتقل إلى عذيب الهجانات « حيث كانت مزارع النعمان بن بشير الأنصارى » وهناك علم من رجل يدعى الطرماح بن عدى (وكان راعيًا للغنم وكان يخشى من وجود الحسين عليه السلام في الكوفة وللأسف الشديد حذر الإمام الحسين رضى الله عنه من الحسين دون أن يعرفه بأنه رجل يهوى المشاكل فتبسم متعجبًا من قوله فقال له : إننى أنا الحسين وهذا يعود لتجارب سكان العراق من خداع الشيعة لآل البيت) بأن قيس الرسول الثانى قد قتل ونصحه بعدم الخروج لأن ليس هذا العدد هو الذى سيحاربك بل عدد آخر غيره يعد في الكوفة بقيادة الحصين بن نمير السكونى ثم وصل إلى قصر بنى مقاتل (وهو شمال البيضة) وهناك عرض على عبيد الله بن الحر الجعفى (وكان من أشراف الكوفة) الذى رفض الخروج معه للثورة وكان قد خرج من الكوفة لكى لا يرى هذه المذبحة الشنيعة لآل البيت بسبب عدم التكافؤ بين الطرفين في العدد والعدة .

وفي الثانى من المحرم لعام ٦١ هـ الموافق الثانى والعشرين من سبتمبر لعام ٦٨٠ م انتقل الحسين من قصر بنى مقاتل إلى بلدة العقر (على مشارف الكوفة من الجهة الشمالية أى أنها شمال شارف لأنها تقع على الصحراء والتى يطلق عليها كربلاء وسميت بكربلاء لأنها كرب وبلاء) لأن عبيد الله بن زياد أراد أن يحارب الحسين في مكان قفر ليس في المدن لسهولة القتل والتمثيل في الحسين وأتباعه ، وهذا يؤكد على نية القتل المبيتة عند عبيد الله وأنه لم ينتظر رأى شمر بن ذى الجوشن كما يدعى عبيد الله بن زياد فيما بعد .

ووصل عمر بن سعد بن أبي وقاص (وللأسف الشديد هو ابن الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص الذى كان يقول عليه الرسول صلوات الله وسلامه عليه أنه خاله وليحضر كل امرؤ بخاله وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة) في اليوم التالي وهو الثالث من محرم لعام ٦١ هـ ٢٣ سبتمبر لعام ٦٨٠ م جرت مفاوضات بين عمر بن سعد والحسين رضى الله عنه ولكن انتهت المفاوضات بالفشل لأن الحسين مصمم على القتال فقام عمر بن سعد بن أبى وقاص بمنع الماء عن قوات الحسين في السابع من محرم لعام ٦١هـ الموافق ٢٧ سبتمبر عام ٦٨٠م

وأغلق عليهم منابع الماء فقام العباس بن علي بن أبى طالب (وكان فارسًا مغوارًا ولكنه لم يظهر دوره قبل ذلك وهو من المحافظين على نسل الإمام علي كرم الله وجهه) أخو الحسين رضى الله عنهما بسرية معه بإحضار الماء مما عمل على زيادة الماء ، ويروى الرواة أن الحسين رضى الله عنه توصل مع عمر بن سعد إلى اتفاق معقول وهو قبول العودة أو البعد عن أراضى الدولة الأموية والعيش في الأطراف دون مبايعة يزيد (أى معارض سياسى للدولة يعيش في المنفى أو يقبل أن يكون مواطنًا أمويًا وهو ما يعرف الآن باسم اللاجىء السياسي) وكان هذا الاتفاق معقولاً لأنه يجعل الحسين لا يطمح في الخلافة بل يجعله مجرد معارض سياسي رافض بيعة يزيد فقط دون الطموح للخلافة لكن شمر بن ذى الجوشن الضبابي الذى أحبط المفاوضات نصح عبيد الله أن يقوم بالتفكير في تسليم الحسين وينظر الأمر فيه بنفسه لا يقبل مثل هذا الحل الذى اقترحه الحسين بن علي رضى الله عنهما فرضخ عبيد الله لحديث شمر بل وأرسله إلى هناك وأمر عمر بشيئين لا ثالث لهما هو أن يقتل الحسين إذا امتنع أو يسلم نفسه دون مقاومة وكان مع شمر عبد الله بن أبي المحل وكان هذا ابن خال العباس ، وعبد الله ،وعثمان ،وجعفر أولاد علي بن أبي طالب إخوة الحسين يطلب لهم الأمان ولكنهم رفضوا وكان حضور شمر في التاسع من محرم لعام ٦١ هـ الموافق التاسع والعشرين من سبتمبر لعام ٦٨٠ م .

ورفض إخوة الحسين هذا الأمان الزائف والرخيص الذى يبعدهم عن أخيهم الإمام الحسين بن علي رضى الله عنهم وخاصة أن شمر يعتبر في عداد أخوالهم فهو من بني عامر بن صعصعة .

وعرض عمر بن سعد شروط عبيد الله بن زياد وبالطبع رفضها الإمام الحسين ابن علي وتم القتال في كربلاء في عاشوراء أى في آخر يوم من شهر سبتمبر لعام ٦٨٠ م .

وحدثت أثناء المناوشات العسكرية أن ضم صاحب الشرطة الحر بن يزيد إلى قوات الحسين فزاد العدد من ٧٢ إلى ٧٣ فقط وهذا لم يكن له تأثير فالذي مع الحسين لم يكن سوى ١٨ رجلاً من أهل بيته فقط أى أن العدد يصل إلى ٩١ شخصًا في مقابل ٥٠٠٠ شخص التى تحت قيادة عمر بن سعد بن أبى وقاص الذى لم يكن له رغبة في القتال لولا عناد شمر ومعه عبيد الله بن زياد . (وكان

العدد زاد إلى ٥٠٠٠ بعد أن انضم ٤٠٠٠ بقيادة الحصين بن نمير السكوني وكانوا من القوات العسكرية بالإضافة إلى ١٠٠٠ من قوات الشرطة الذين تخلى عنهم الحر بن يزيد التميمي بعد أن علم أن سيدنا الحسين على حق بعد أن ندم على منع الماء عن الحسين رضى الله عنه وأتباعه مكفرًا بذلك الذنب بالانضمام تحت لواء الإمام الحسين رضى الله عنه) .

ولم تكن معركة بالشكل المفهوم لأنها كانت غير متكافئة لا في العدد ولا في العدة بل كانت عبارة عن مذبحة تعرض لها الحسين وأهل بيته ومعه أعوانه ونبدأ الآن كما يسرد الطبرى أحداث المذبحة .

تبدأ المعركة بالمبارزة الفردية وهذا تقليد يتبعه العرب منذ الجاهلية وعندما تتم تدور رحى المعركة فأول من بارز هو عبد الله بن عمير بن عليم الكلبي (وهو من أهل الشام من رهط أم يزيد) الذى انتصر في المبارزة ومن هنا بدأت الحرب وكانت في أولها معارك فردية مراعاة للعدد القليل فأول من قتل فيها هو برير بن حضير الأزدي قتله للأسف كعب بن جابر بن عمرو الأزدى - مثله - الذى أراد أن يخلص منه أحد الجنود الأموية طالبًا النجاة من أحد القوات الأموية التى تنظر إليه وهو تحت رحمة برير بن حضير (وهو من علماء القراءات في مدينة الكوفة) (وكان قد قتل في المبارزة الفردية أربعة رجال بشكل متتالي حتى ما قتل على يد كعب بن جابر) .

ثم أخذت هذه المناوشات الفردية يكتب لها النجاح من قبل أصحاب سيدنا الحسين عليه السلام فأعلن عمرو بن الحجاج الحرب جماعية فقام بحرب ميمنة الجيش للحسين عليه السلام فقام عمرو بهزيمة مسلم بن عوسجة الأسدى المتولى الميمنة وقتله في الحال وبذلك ستبدأ المذبحة وكان الذى شارك عمرو في قتل مسلم الأسدى مسلم بن عبد الله الضبابي من أقارب شمر بن ذى الجوشن الضبابي وعبد الرحمن بن أبى خشكارة البجلي (وكان مسلم هذا من أبطال فتح أذربيجان في عهد عثمان بن عفان وكان يميل للتشيع فوقف مع علي في موقعة الجمل وصفين وكان يجمع البيعة للحسين كما أسلفنا في مسجد الكوفة) .

ثم تلى قتل مسلم الأسدى قائد مسيرة الحسين عليه السلام عبد الله بن عمير الكلبي الذى قتل على يد شمر بن ذى الجوشن الضبابي وهانىء بن ثبيت الحضرمى .

ثم انقض الجيش الأموي كله على أتباع الحسين حتى قتلوا الخيول وجعلوا رجال الحسين كلهم رجالة (أى غير راكبين فرس) على الرغم من هذا أطال أمد المعركة مع وجود العدد الكبير للأمويين وأراد شمر أن ينهى المعركة لحسابه فأراد إحراق منزل الحريم فقام بقتل زوجة عبد الله بن عمير الكلبي القتيل الثانى ولكن تم منعه من قبل شبث بن ربعي (من الذين شاركوا في فتح القادسية) وحاول حبيب بن مظاهر (وهو من رؤوس الشيعة الكبار ومن رجال الحسين في تلك الملحمة) أن يوقف المعركة للصلاة لكن دون جدوى لأنه قتل على يد الحصين بن تميم ثم توقفت المعركة لصلاة الظهر (صلاة الخوف) بعد أن قتل الحر بن يزيد التميمي ومعه عمرو بن عبد الله الصائدى (وكيف كانوا يصلون وكانوا يذبحون آل محمد أليس في الصلاة ذكر محمد عليه الصلاة والسلام وآله أليسوا هؤلاء آل محمد الذين يصلون عليهم ما هذا النقيض الغريب والعجيب أنهم يصلون ويقتلون آل محمد ، ومن العجيب أنهم أرادوا الإمام الحسين أن يكون إمام لهم ؟!!)

ثم عادت المعركة من جديد وانصبت المعركة بدلاً من الهجوم بعد أن انتهى على ميسرة وميمنة الحسين إلى موقف دفاعى من قبل أصحاب الحسين الذين كان على رأسهم زهير بن القين (وهو من الشيعة وكان قد فتح مع عبيد الله بن زياد سجستان وهو من قبيلة باهلة العدنانية) بعد مقتل الحر بن يزيد ولكن تم قتل زهير على يد كثير بن عبد الله الشعبي (للأسف وهو من أهل بيت الفقيه الشعبي المعروف الذى عاش في العصر الأموي وكان ابن أخيه أشعب صاحب النوادر الشهيرة) ومهاجر بن أوس ومن بعد زهير بن القين تولى قيادة جيش الحسين نافع ابن هلال المرادى الذى أسر ثم قتل على يد شمر بن ذى الجوشن الضبابي (كان مقاتلاً باسلاً ولم يستطع قتله أى جندى أموي فتكالبوا عليه وتم أسره وهو الوحيد من بين رجال الحسين عليه السلام الذى تم أسره وقتله) وتلاهم عبد الله وعبد الرحمن ابنا عزرة الغفاريان (وأبوهم صحابي جليل عزرة بن قيس الأحمسى الغفارى وكان الصحابي الجليل أبو ذر الغفارى خال أبيهم مباشرة) اللذان تم قتلهم وذلك بسبب حصار جيوش عمر بن سعد بن أبي وقاص ومن ورائهم شوذب (فارسى الأصل من أنصار سيدنا الحسين عليه السلام) .

وظل الحال هكذا حتى قتل أصحاب الحسين فيما عدا ثلاثة فر منهم واحد يدعى الضحاك بن عبد الله المشرقى بعد أن استأذن الحسين عليه السلام وانضم من

الجيش الأموى رجل كان رسولاً ليزيد بن معاوية بن أبى سفيان لعبيد الله بن زياد وكان أرسله ليشرف على المعركة ولكنه قتل وقتل كذلك سويد بن عمرو الخثعمى وكان آخر أصحاب الحسين قتلاً (وروى الطبرى عنه حادثًا غريبًا بأنه استيقظ بعد أن مات موتًا - يطلق عليه الآن موت إكلينكي - فقام بعد نصف ساعة وحارب بعد أن رأى جثة الحسين بجانبه ممثل بها فقام بقتل انتقامى للقوات الأموية وقتل منهم خمسة بشكل درامى معلنًا نهاية هذه الملحمة الحزينة وهو الوحيد الذى رأى الحسين أمامه مقتولاً وهو من رهط أسماء بنت عميس الخثعمية زوجة أبي بكر الصديق والإمام علي رضى الله عنهما) .

فاتجهت القوات الأموية لحرب الأسرة الهاشمية والتى كان يرأس جناحها العسكرى العباس بن علي بن أبى طالب الذى أبدى مواقف بطولية في هذه الحرب ويروى الطبرى ويقول : (إن أول قتيل هو علي الأكبر بن الحسين بن علي بن أبى طالب والذى قتل على يد مرة بن منقذ العبدى) .

ومن ثم عبد الله بن مسلم بن عقيل بن أبى طالب على يد عمرو الصدائي ، ثم خلفه عون بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، الذى تم قتله على يد عبد الله بن قطبة النبهانى ، ثم خلفه محمد بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب الذى تم قتله على يد عامر بن نهشل التيمى ، ومن خلفه عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب الذى قتل على يد عثمان الجهنى وبشر القابضى ، ثم خلفه جعفر بن عقيل بن أبى طالب الذى قتل على يد عبد الرحمن بن عزرة الخثعمى ثم خلفه القاسم بن الحسن بن علي بن أبى طالب الذى دافع عنه عمه الحسين وقتل قاتله عمرو بن سعد الأزدى ثم تتل أخاه أبا بكر ، وابن الحسين رضى الله عنه عبد الله ، وقتل أبو بكر عبد الله بن عقبة الغنوى (وللأسف فهو من رهط الصحابي الجليل مرثد بن أبى مرثد الغنوى) . وقتل كذلك عبد الله وجعفر بن علي بن أبى طالب على يد هانىء بن ثبيت الحضرمى ، وقتل كذلك عثمان بن علي على يد خولى بن يزيد الأصبحى (وهو من حمير رهط الإمام مالك بن أنس صاحب المذهب المالكى) . ومن بعده محمد بن علي بن أبى طالب ، وعندما قتل العباس بن علي بن أبى طالب آخر من قتل من بنى هاشم قبل الحسين أخيه (ونحن نقبلك يا حسين أيها الإمام الأعظم سبط رسول الله يا أبو الشهداء) .

ثم قام الحسين بالاتجاه لنهر الفرات (لكى يشرب شربة ماء بعد أن منعوا عنه الماء ويقال أن ماء الفرات لا يروى الظمآن وذلك استجابة لدعاء الحسين عليه السلام عنه وعن آل بيته بعكس ماء النيل الذى به الطحالب والبلهارسيا وتلك آية من آيات الله سبحانه وتعالى) .

وأخذ يدافع لوحده أمام هذا العدد الغفير عن حريمه وأهل بيته ولكنه قد قتل على يد سنان بن أنس النخعى (وللأسف كان عمه الأشتر بن مالك النخعى كان من أنصار الإمام علي بن أبى طالب الذى دس له السم معاوية بن أبى سفيان عندما بعثه واليًا على مصر ومات في الطريق وقال معاوية كلمته الشهيرة إن لله جنودًا من عسل) واحتز رأسه خولي بن يزيد الأصبحى الذى سار بها بعد ذلك إلى ابن زياد ، وانتهت تلك المذبحة البشعة بتسليم نساء آل بيت الرسول ﷺ وعقيلات بنى هاشم الأحرار الذى رأسهم علي بن الحسين (زين العابدين) رضى الله عنهم .

ثم سار الوفد الهاشمى المأسور حتى وصل إلى عبيد الله بن زياد ثم أرسل معهم رأس الإمام الحسين إلى يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وعاد الوفد الهاشمى إلى المدينة المنورة يلم شعث الأحزان التى لم تنتهى لأن عبد إلله بن الزبير أشعل الثورة في الحجاز حتى جعل الحجاز أول ولاية تستقل عن الأمويين بعد وفاة يزيد ابن معاوية بن أبى سفيان .

وتنازل ابنه معاوية الثانى عن الخلافة فأضيف سبب جديد للصراع وهو الخلاف على الخلافة بين آل أبى العاص وبين آل حرب بن أمية ثم الفتن التى قامت على يد الخوارج في الجزيرة العربية وبعدها الثورات في العراق التى قامت بعد أن استغلت الأوضاع السيئة فقامت بالثورة على الوالي الأموي عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان التى عزلته فعينوا بدلاً منه عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمى (وعبد الله هذا خاله معاوية بن أبى سفيان حيث أمه هند بنت أبى سفيان) على البصرة وعامر بن مسعود (من أشراف أهل الكوفة) على الكوفة .

وتم طرد عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان في الرابع عشر من جمادى الآخرة لعام ٦٤ هـ الموافق السابع والعشرين من يناير لعام ٦٨٤ م . إلى أن سيطر ابن الزبير على العراق فعزل الولاة الأموية ووضعوا عمالاً من قبله .

وعندما تم طرد عبيد الله بن زياد لجأ إلى الشام حيث كان مروان بن الحكم انتزع الخلافة من آل حرب لذلك قامت ثورة في العراق من قبل الشيعة الهدف منها هو الانتقام من ابن زياد بسبب قتله الإمام الحسين بن علي رضى الله عنهما سبط رسول الله ﷺ فقامت ما يعرف بحركة التوابين (التى أضحت بعد ذلك تقليد دينيًا عند الشيعة حتى الآن الهدف منه هو التكفير عن ذنب الخذلان وعدم النصرة لسيدنا الحسين رضى الله عنه) .

وتم تجنيد الثوار في جيش بقيادة الصحابى سليمان بن صرد رضى الله عنه في ربيع الآخر عام ٦٥ هـ الموافق نوفمبر عام ٦٨٤ م ، وتقابلوا مع قوات عبيد الله بن زياد اللاجىء للشام حيث تمت هزيمتهم في جمادى الأول ٦٥ هـ الموافق ديسمبر عام ٦٨٤ م .

وقتل سليمان بن صرد رضى الله عنه (وهو من الصحابة رضوان الله عليهم وقد شارك في موقعة الخندق وكان يوم مات عنده ثلاث وتسعون عامًا ، وقتله يزيد بن الحصين بن نمير السكونى الفاجر بن الفاجر وكان أبوه قائدًا للجيش حارب الحسين عليه السلام وهى ذرية قذرة بعضها من بعض) .

تتبع ذلك هروب الفلول من الشيعة المهزومين فاتحدت مع المختار بن أبى عبيد الثقفى (الذى كان مسجونًا وأخرج من السجن بالعراق من قبل عبيد الله بن زياد لأنه كان يجمع عنده الشيعة وأخرج من السجن بشفاعة عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لأن صفية أخته زوجة لعبد الله بن عمر بن الخطاب) فقامت بالثورة على الوالى الزبيرى عبد الله بن مطيع العدوى الذى تولى ولاية الكوفة في رمضان عام ٦٥ هـ الموافق أبريل ٦٨٥ م .

وحاول المختار أن يكسب شرعية لثورته فاستعان بعبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى رفض التعامل معه فلجأ إلى محمد بن علي بن أبى طالب (محمد بن الحنفية وهو من رجال الدين في المدينة المنورة وكانت له شيعة تؤم له بعد مقتل أخيه الحسين رضى الله عنه ولذلك حبسه عبد الله بن الزبير في شعاب مكة المكرمة وعندما قتل عبد الله بن الزبير بن العوام في عام ٧٣ هـ الموافق عام ٦٩٢ م تم الإفراج عنه من قبل الحجاج بن يوسف الثقفى وكانت مدة سجنه ستة أعوام وذلك لكسب ود بنى هاشم ، وقد مات في عام الجحاف وهو سيل أغرق مكة المكرمة في عام ٨١ هـ الموافق عام ٧٠٠ م ، ومات في عمر والده

إحدى وستون عامًا) الذى أمته الشيعة الكيسانية (شيعة بنى العباس وتنسب إلى كيسان مولى ابن الحنفية) وضم له عدد كبير من الموالى الفرس وأيضًا جماعة اليمن بقيادة إبراهيم بن الأشتر بن مالك النخعى الذى استغله بعد ذلك للانتقام من قتلة الحسين عليه السلام ، فقام بطرد الوالى الزبيرى في ربيع الأول عام ٦٦ هـ الموافق أكتوبر عام ٦٨٥ م وسيطر على الكوفة وتوسع في الوسط والشمال العراقيان وأضحت له منطقة كبيرة (وبذلك أضحت العراق ملكًا للمختار الثقفى) .

يورد الطبرى في أحداث شهر ذى الحجة عام ٦٦ هـ الموافق يونيو ٦٨٦ م عن موقعة جبانة السبيع بالكوفة التى قتل فيها قتلة الحسين عليه السلام وكانت هذه بعد أن نشبت ثورة من قبلهم أثناء غيابه في رحلة التوسع في العراق فيقول الطبرى (تاريخ الطبري ج٢ص٤٥٩) .

فقال المختار (وذلك بعد هزيمتهم) : اعرضوهم علي وانظروا كل من شهد منهم قتل الحسين فأعلمونى به فأخذوا لا يمر عليه برجل قد شهد قتل الحسين إلا قيل له هذا ممن شهد قتله فيقدمه فيضرب عنقه حتى قتل منهم قبل أن يخرج مائتين وثمانية وأربعين قتيلاً .

وأخذ أصحابه كلما رأوا رجلاً قد كان يؤذيهم أو يماريهم أو يضربهم خلوا به فقتلوه حتى قتل ناس كثير منهم وما يشعر بهم المختار فأخبر بذلك المختار بعد فدعا بمن بقى من الأسارى فأعتقهم وأخذ عليهم المواثيق ألا يجامعوا عليه عدوًا ولا يبغوه ولا أصحابه غائلة إلا سراقة بن مرداس البارقى فإنه أمر به أن يساق معه إلى المسجد .

قال : ونادى منادى المختار إنه من أغلق بابه فهو آمن إلا رجلاً شرك في دم آل محمد وخرج عمرو بن الحجاج الزبيدى وكان ممن شهد قتل الحسين فركب راحلته ثم ذهب عليها فأخذ طريق شراف وواقصة (طرق مؤدية إلى البصرة) فلم ير حتى الساعة ولا يدرى أرض بخسته أم سماء حصبته .

❊ ❊ ❊

جزاء قتلة الحسين رضى الله عنه

١ - شمر بن ذى الجوشن الضبابي (لعنة الله عليه) :

روي من طريق عمر بن شعبة حدثنا أبو أحمد حدثنى عمى فضيل بن الزبير عن عبد الرحيم بن ميمون عن محمد بن حسن : كنا مع الحسين بنهدى كربلاء فنظر إلى شمر بن ذى الجوشن الضبابي فقال : صدق الله ورسوله ، قال رسول الله ﷺ : « كأنى أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دماء أهل بيتى » وكان شمر أبرص وكان من أغلظ القلوب على الحسين رضى الله عنه وقتله رجال المختار ، ولم يكتفوا بذلك بل قطعوا رأسه وجعلوا الخيل تطأ صدره وظهره مثلما فعل مع الحسين رضى الله عنه .

٢ - مالك بن النسير الكندى (لعنة الله عليه) :

كان انتقام الله سبحانه وتعالى منه بأن أوقعه هو واثنان من الذين اشتركوا في قتل الحسين رضى الله عنه (عبد الله بن أسيد بن النزال الجهنى ، وحمل بن مالك المحاربي لعنة الله عليهما) بأن أوقعهم في يد المختار الثقفي وكان مالك بن النسير الذى ضرب الحسين على رأسه بالسيف ضربة فقطعت البرنس وأدمت رأسه الشريف حتى امتلأ البرنس دمًا .

وقد دعا عليه الحسين بن علي رضى الله عنهما قائلاً : «لا أكلت ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين » وعندما جاء بهم صاح فيهم المختار قائلاً : أين الحسين بن علي ؟ أدوا إلي الحسين ، قتلتم من أمرتم بالصلاة عليه في الصلاة ؟

فقالوا له : رحمك الله أمرنا بقتاله ونحن له كارهون ، فامنن علينا واستبقنا فقال لهم : فهلا مننتم أنتم على الحسين ابن بنت نبيكم واستبقيتموه وسقيتموه ثم قال المختار لمالك أنت صاحب برنسه فقال له عبد الله بن كامل (أحد رجال المختار) نعم هو هو .

فقال المختار : اقطعوا يدى هذا ورجليه ، ودعوه فليضرب حتى يموت . ففعل ذلك به وترك فلم يزل ينزف الدم حتى مات ، وأمر بالآخرين فقدما فقتل عبد الله بن كامل عبد الله الجهنى ، وقتل سعر بن أبى سعر حمل بن مالك المحاربي .

٣ - خولي بن يزيد الأصبحى (لعنة الله عليه) :

وهو الذى حمل رأس الحسين لعبيد الله بن زياد الذى اختبأ في مخرجه (وهو مخرج الدار أى الطريق التى تؤدى للخارج) فأمر المختار حرسه أن يطلبه في الدار فخرجت امرأته إليهم فقالوا لها : أين زوجك ؟ فقالت : لا أدرى أين هو ؟ وأشارت بيدها إلى المخرج فدخلوا فوجدوه قد وضع على رأسه قوصة (عمامة للتخفى) فأخرجوه وكان المختار يسيز بالكوفة ثم إنه أقبل في أثر أصحابه وقد بعث أبو عمرة إليه رسولاً فاستقبل المختار الرسول عند دار بلال ومعه ابن كامل فأخبره الخبر فأقبل المختار نحوهم فاستقبل به فردده حتى قتله إلى جانب أهله ثم دعا بنار فحرقه بها ثم لم يبرح حتى عاد رماداً ثم انصرف عنه وكانت امرأته من حضرموت يقال لها : العيوف بنت مالك بن نهار بن عقرب وكانت نصبت له العداوة حين جاء برأس الإمام الحسين عليه السلام .

٤ - عمر بن سعد بن أبى وقاص (لعنة الله عليه) :

قال عمر بن سعد : اشهدوا لي عند الأمير أننى أول من رمى الحسين وأصحابه ومنع عنه الماء ، وآذى الحسين وأهل بيته رضوان الله عليهم .

عندما تولى المختار ولاية الكوفة أرسل إليه رئيس حرسه وقطع رأسه وحملها إلى المختار وكان هناك حفص بن عمر فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد وهو جالس عنده أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع وقال : نعم ولا خير في العيش بعده قال له المختار : صدقت فإنك لا تعيش بعده فأمر به فقتل وإذا رأسه مع رأس أبيه ثم إن المختار قال : هذا بحسين وهذا بعلى الأكبر بن حسين ولا سواء والله لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله فقالت حميدة بنت عمر ابن سعد تبكى أباها :

لو كان غير أخي قسي غره ... أو غير ذى يمن وغير الأعجم
سخى بنفسى ذاك شيئًا فاعلموا ... عنه وما البطريق مثل الألأم
أعطى ابن سعد في الصحيفة وابنه ... عهداً يلين له جناح الأرقم

فلما قتل المختار عمر بن سعد وابنه بعث برأسيهما مع مسافر بن سعيد بن نمران الناعطى وظبيان بن عمارة التميمى حتى قدما بهما على محمد ابن الحنفية (أخو سيدنا الحسين من أبيه) وكتب إلى ابن الحنفية في ذلك بكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، للمهدى محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد

سلام عليك يا أيها المهدى فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد . . فإن الله بعثنى نقمة على أعدائكم فهم بين قتيل وأسير وطريد وشريد فالحمد لله الذى قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم وقد بعثت إليك برأس عمر ابن سعد وابنه وقد قتلنا من شارك في دم الحسين وأهل بيته رحمة الله عليهم كل من قدرنا عليه ولن يعجز الله من بقى ولست بمنجم عنهم حتى لا يبلغنى أن على أديم الأرض منهم أرميا فاكتب إلى أيها المهدى برأيك أتبعه وأكون عليه والسلام عليك أيها المهدى ورحمة الله وبركاته .

٥ - عبد الله بن حوزة (لعنة الله عليه) :

هو الذى وقف أمام الحسين فقال : يا حسين يا حسين . فقال حسين : ما تشاء ؟ قال : أبشر بالنار ! قال :كلا إنى أقدم على رب رحيم ، وشفيع مطاع ، من هذا؟ قال له أصحابه : هذا ابن حوزة فرفع الحسين يديه حتى رأينا بياض إبطيه من فوق الثياب ثم قال : اللهم حزه إلى النار .

قال : فغضب ابن حوزة فذهب ليقحم إليه الفرس وبينه وبينه نهر ، فعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس فسقط عنها ، قال : فانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقى جانبه الآخر متعلقًا وشد عليه مسلم بن عوسجة فضربه ، فأطار رجله اليمنى ، وغارت به فرسه فلم يبق حجر يمر به إلا ضربه في رأسه حتى مات .

٦ - سنان بن أنس النخعى (لعنة الله عليه) :

وهو الذى طعن الحسين رضى الله عنه بالرمح ، وهو الذى نزل فاحتز رأسه وأرسل عمر بن سعد بالرأس الشريف إلى ابن زياد معه فلما وضع الرأس الشريف بين يدى عبيد الله بن زياد :

املأ ركابي فضة وذهبًا أننى قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أمًا وأبًا وخيرهم إذ يذكرون نسبا

فغضب عبيد الله بن زياد وقال : إذا علمت ذلك فلم قتلته والله لا نلت منى خيرًا ولأحلقنك به . ثم ضرب عنقه (ومن أعان ظالما سلطه الله تعالى عليه فلقد قتل الظالم الحسين رضى الله عنه غير مكترث بمكانته الدينية وكونه من آل البيت ولكن كل ما يريده الذهب والفضة والجائزة التى سينالها من قتله فقتل شر قتلة) .

٧ - الحصين بن تميم السكونى (لعنة الله عليه) :

من الذين منعوا الماء عن الحسين رضى الله عنه ، فدعا عليه الإمام الحسين فعاش لا يروى ظمؤه فكلما شرب الماء ازداد ظمؤه وأخذ يصيح « اسقونى » ويلكم قد قتلنى الظمأ وظل هكذا حتى انقدت بطنه انقداد البعير (وهو الذى قال فيه زياد بأنه لا يراعى حرمة حتى لو كان النبي ﷺ حيًا لسلمه للسلطان - لعنة الله عليهم) وذلك لأنه كان رئيسًا للشرطة .

٨ - عبيد الله بن زياد (لعنة الله عليه) :

قضى الله عز وجل أن يقتل عبيد الله بن زياد وأصحابه يوم عاشوراء يوم قتل الحسين رضى الله عنه وقتله إبراهيم بن الأشتر في الحرب (موقعة عين الوردة عام ٦٦ هـ الموافق عام ٦٨٥م) وبعث برأسه إلى المختار التى بعثها المختار إلى ابن الزبير فبعثها ابن الزبير إلى علي بن الحسين رضى الله عنهما (زين العابدين) ، روى الترمذى لما جيء برأسه ونصب في المسجد جاءت حية فتخللت الرؤوس حتى دخلت في منخره فمكثت هنيهة ثم خرجت ، فعلت ذلك مرتين أو ثلاثًا وكان نصبها في محل رأس الحسين (وعبيد الله بن زياد لم يتجاوز الخامسة والثلاثين من العمر عندما قتل لعنة الله عليه) .

٩ - عبد الله بن أبى حصين الأزدى (لعنة الله عليه) :

الذى قال : يا حسين ألا تنظر إلى الماء كأنه كبد السماء والله لا تذوق منه قطرة حتى تموت عطشًا ، فقال حسين : اللهم اقتله عطشًا ولا تغفر له أبدًا ، قال حميد بن مسلم (وكان أحد الجنود الذين حاربوا مع يزيد بن معاوية) : والله لعدته بعد ذلك في مرضه فوالله الذى لا إله إلا هو لقد رأيته يشرب حتى يبغر ثم يقيء ثم يعود فيشرب حتى يبغر فما يروى فما زال ذلك دأبه حتى لفظ عصبه يعنى نفسه .

١٠ - كعب بن جابر (لعنة الله عليه) :

قالت له امرأته أو أخته النوار بنت جابر أعنت على ابن فاطمة وقتلت سيد القراء لقد أتيت عظيمًا من الأمر والله لا أكلمك من رأسى كلمة أبدًا وقال كعب ابن جابر :

سلي تخبري عنى وأنت ذميمة ... غداة حسين والرماح شوارع
ألم آت أقصى ما كرهت ولم يخل ... علي غداة الروع ما أنا صانع

معي يزني لـــم تخنه كعوبه وأبيض مخشوب الغرارين قاطع
فجردته في عصبة ليس دينهم بديني وإني بابن حرب لقانع
ولم تر عيني مثلهم في زمانهم ولا قبلهم في الناس إذ أنا يافع
أشد قراعًا بالسيوف لدى الوغى ألا كل من يحمي الذمار مقارع
وقد صبروا للطعن والضرب حسرًا وقد نازلوا لو أن ذلك نافع
فأبلغ عبيد الله إما لقيته بأني مطيع للخليفة سامع
قتلت بريرًا ثم حملت نعمة أبا منقذ لما دعا من يماضع

قال أبو مخنف : حدثني عبد الرحمن بن جندب قال سمعته في إمارة مصعب بن الزبير وهو يقول يا رب إنا قد وفينا فلا تجعلنا يا رب كمن قد غدر فقال له أبي صدق ولقد وفى وكرم وكسبت لنفسك شرًا قال : كلا إني لم أكسب لنفسي شرًا ولكني كسبت لها خيرًا ، قال : وزعموا أن رضى بن منقذ العبدى رد بعد على كعب بن جابر جواب قوله فقال :

لو شاء ربي ما شهدت قتالهم ولا جعل النعماء عندى ابن جابر
لقد كان ذاك اليوم عارًا وسبة يعيره الأبناء بعد المعاشر
فيا ليت أني كنت من قبل قتله ويوم حسين كنت في رمس قابر

قال : وخرج عمرو بن قرظة الأنصارى يقاتل دون حسين وهو يقول :

قد علمت كتيبة الأنصار أني سأحمي حوزة الذمار

وقال أبو زهير العبسي : فأنا سمعته في إمارة مصعب يقول لا يعطى الله أهل هذا المصر خيرًا أبدًا ولا يسددهم لرشد ألا تعجبون أنا قاتلنا مع علي بن أبى طالب ومع ابنه من بعده آل أبي سفيان خمس سنين ثم عدونا على ابنه وهو خير أهل الأرض نقاتله مع آل معاوية وابن سمية الزانية ضلال يا لك من ضلال .

١١ - بحر بن كعب (لعنة الله عليه) :

قال الحسين - بناء على أحد الرواة - يومئذ : اللهم أمسك عنهم قطر السماء وامنعهم بركات الأرض اللهم فإن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقًا واجعلهم طرائق قددًا ولا ترض عنهم الولاة أبدًا فإنهم دعونا لينصرونا فعدوا علينا فقتلونا وضارب الرجالة حتى انكشفوا عنه ولما بقى الحسين في ثلاثة رهط أو أربعة دعا بسراويل محققة يلمع فيها البصر يماني محقق ففزره ونكثه لكيلا يسلبه فقال له بعض أصحابه : لو لبست تحته تبانا قال : ذلك ثوب مذلة ولا ينبغي لي أن ألبسه قال :

فلما قتل أقبل بحر بن كعب فسلبه إياه فتركه مجردًا .

قال أبو مخنف : فحدثني عمرو بن شعيب عن محمد بن عبد الرحمن « أن يدى بحر بن كعب كانتا في الشتاء تنضحان الماء ، وفي الصيف تيبسان كأنهما عود » .

١٢ - إسحاق بن حيوة الحضرمي (لعنة الله عليه) :

وهو الذى سلب قميص الإمام الحسين رضى الله عنه بعد قتله أثناء المعركة فبرص بعد ذلك .

١٣ - أحبش بن مرثد بن علقمة بن سلامة الحضرمي (لعنة الله عليه) :

وكان من القتلة الفجرة الذين قاتلوا الإمام الحسين وداسوا الجثمان الشريف بعد قتله بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره فبلغنى أن أحبش بن مرثد بعد ذلك بزمان أتاه سهم غرب وهو واقف في قتال ففلق قلبه فمات كما قال الطبري في الجزء الخامس ص ٢٣٣ ، ٢٣٥ .

١٤- سراقة بن مرداس البارقي (لعنة الله عليه) :

قال أبو مخنف عن يونس بن أبى إسحاق ولما خرج المختار من جبانة السبيع وأقبل إلى القصر أخذ سراقة بن مرداس يناديه بأعلى صوته :

امنن علي اليوم يا خير معد وخير من حل بشحر والجند
وخير من حيا ولبى وسجد

فبعث به المختار إلى السجن فحبسه ليلة ثم أرسل إليه من الغد فأخرجه فدعا سراقة فأقبل إلى المختار وهو يقول :

ألا أبلغ أبا إسحاق أنا نزونا نزوة كانت علينا
خرجنا لا نرى الضعفاء شيئًا وكان خروجنا بطرًا وحينا
نراهم في مصافهم قليلاً وهم مثل الدبى حين التقينا
برزنا إذ رأيناهم فلما رأينا القوم قد برزوا إلينا
لقينا منهم ضربًا طلحفا وطعنًا صائبًا حتى انثنينا
نصرت على عدوك كل يوم بكل كتيبة تنعى حسينا
كنصر محمد في يوم بدر ويوم الشعب إذ لاقى حنينا
فأسجح إذ ملكت فلو ملكنا لجرنا في الحكومة واعتدينا
تقبل توبة منى فإني سأشكر إن جعلت النقد دينا

قال (أبو مخنف) فلما انتهى إلى المختار قال له أصلحك الله أيها الأمير ، يحلف سراقة بن مرداس بالله الذى لا إله إلا هو لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والأرض فقال له المختار فاصعد المنبر فأعلم ذلك المسلمين فصعد فأخبرهم بذلك ثم نزل فخلا به المختار فقال : إنى قد علمت أنك لم تر الملائكة وإنما أردت ما قد عرفت ألا أقتلك فاذهب عنى حيث أحببت لا تفسد علي أصحابى . قال أبو مخنف فحدثنى الحجاج بن علي البارقى عن سراقة بن مرداس قال : ما كنت في أيمان حلفت بها قط أشد اجتهادًا ولا مبالغة في الكذب منى في أيمانى هذه التى حلفت لهم بها أنى قد رأيت الملائكة معهم تقاتل فخلوا سبيله فهرب فلحق بعبد الرحمن بن مخنف عند المصعب بن الزبير بالبصرة وخرج أشراف أهل الكوفة والوجوه فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة وخرج سراقة بن مرداس من الكوفة وهو يقول :

ألا أبلغ أبا إسحاق أنى ... رأيت البلق دهمًا مصمتات
كفرت بوحيكم وجعلت نذرًا ... علي قتالكم حتى الممات
أرى عينى ما لم تبصراه ... كلانا عالم بالترهات
إذا قالوا أقول لهم كذبتم ... وإن خرجوا لبست لهم أداتى

ومن خلال الأبيات السابقة تكشف لنا أن المختار كذاب وأفاق ومنافق يسعى لمجد شخصى لا إلى الثأر للإمام الحسين وأهله ويعلم علم اليقين أن هذا الرجل كذاب (ولا تعليق على ذلك) .

١٥ - شرحبيل بن ذى بقلان (لعنة الله عليه) :

وكان من بيوتات همدان (وكان قد قتل على يد المختار) فقال يومئذ قبل أن يقتل : يا لها قتلة ما أضل مقتولها قتال مع غير إمام وقتال على غير نية وتعجيل فراق الأحبة ولو قتلناهم إذًا لم نسلم منهم إنا لله وإنا إليه راجعون أما والله ما خرجت إلا مواسيًا لقومى بنفسى مخافة أن يضطهدوا وأيم الله ما نجوت من ذلك ولا أنجو ولا أغنيت عنهم ولا أغنوا ورماه رجل من الفائشيين من همدان يقال له أحمر بن هديج بسهم فقتله .

١٦ - عبد الرحمن بن أبى خشكارة البجلي وعبد الله بن قيس الخولانى (لعنة الله عليهما) :

وقد أتى بهما رجال المختار بن أبى عبيد الثقفي حتى أدخلهما عليه فقال لهما

يا قتلة الصالحين وقتلة سيد شباب أهل الجنة ألا ترون الله قد أقاد منكما اليوم فأخرجوهما إلى السوق فضربت رقابهما ففعل ذلك بهما .

١٧ - عثمان بن خالد بن أسير الدهمانى من جهينة والى أبى أسماء بشر بن سوط القابضى (لعنة الله عليهما) :

وكانا ممن شهد قتل الحسين وكانا اشتركا في دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب وفي سلبه فأحاط عبد الله بن كامل عند العصر بمسجد بنى دهمان ثم قال علي مثل خطايا بنى دهمان منذ يوم خلقوا إلى يوم يبعثون إن لم أوت بعثمان بن خالد بن أسير إن لم أضرب أعناقكم من عند آخركم فقلنا له أمهلنا نطلبه فخرجوا مع الخيل في طلبه فوجدوهما جالسين في الجبانة وكانا يريدان أن يخرجا إلى الجزيرة فأتى بهما عبد الله بن كامل فقال الحمد لله الذى كفى المؤمنين القتال لو لم يجدوا هذا مع هذا عنانا إلى منزله في طلبه فالحمد لله الذى حينك حتى أمكن منك فخرج بهما حتى إذا كان في موضع بئر الجعد ضرب أعناقهما ثم رجع فأخبر المختار خبرهما فأمره أن يرجع إليهما فيحرقهما بالنار ، وقال لا يدفنان حتى يحرقا فهذان رجلان فقال : أعشى همدان يرثى عثمان الجهنى :

يا عين بكى فتى الفتيان عثمانا لا يبعدن الفتى من آل دهمانا
واذكر فتى ماجدًا حلوًا شمائله ما مثله فارس في آل همدانا

١٨ - حكيم بن طفيل الطائى السنبسى (لعنة الله عليه) :

ثم إن المختار بعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن طفيل الطائى الملعون وكان قد أصاب صلب العباس بن علي بن أبى طالب ورمى الإمام الحسين بسهم فكان يقول تعلق سهمى بسرباله وما ضره فأتاه عبد الله بن كامل فأخذه ثم أقبل به وذهب أهله فاستغاثوا بعدى بن حاتم الطائى فلحقهم في الطريق فكلم عبد الله ابن كامل فيه فقال: ما إلي من أمره شيء إنما ذلك إلى الأمير المختار قال : فإنى آتيه قال فأته راشدًا فمضى عدى نحو المختار وكان المختار قد شفعه في نفر من قومه أصابهم يوم جبانة السبيع لم يكونوا نطقوا بشيء من أمر الحسين ولا أهل بيته فقالت الشيعة لابن كامل إنا نخاف أن يشفع الأمير عدى بن حاتم في هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت فدعنا نقتله قال : شأنكم به فلما انتهوا به إلى دار العنزيين وهو مكتوف نصبوه غرضا (أى عريان كما ولدته أمه) ثم قالوا له سلبت ابن على ثيابه والله لنسلبن ثيابك وأنت حى تنظر فنزعوا ثيابه ثم قالوا له رميت

حسينا واتخذته غرضا لنبلك تقول تعلق سهمى بسرباله ولم يضره وأيم الله لنرمينك كما رميته بنبال ما تعلق بك منها أجزاك فرموه رشقًا واحدًا فوقعت به منهم نبال كثيرة فخر ميتًا قال أبو مخنف فحدثنى أبو الجارود عمن رآه قتيلا كأنه قنفذ لما فيه من كثرة النبل ودخل عدى بن حاتم على المختار فأجلسه معه على مجلسه فأخبره عدى عما جاء له فقال له المختار أتستحل يا أبا طريف أن تطلب في قتلة الحسين قال : إنه مكذوب عليه أصلحك الله قال : إذًا ندعه لك قال : فلم يكن بأسرع من أن دخل ابن كامل فقال له المختار ما فعل الرجل قال قتلته الشيعة قال : وما أعجلك إلى قتله قبل أن تأتينى به وهو لا يسره أنه لم يقتله وهذا عدى قد جاء فيه وهو أهل أن يشفع ويؤتى ما سره قال غلبتنى والله الشيعة قال له عدى كذبت يا عدو الله ولكن ظننت أن من هو خير منك سيشفعنى فيه فبادرتنى فقتلته ولم يكن خطر يدفعك عما صنعت قال : فاسحنفر إليه ابن كامل بالشتيمة فوضع المختار إصبعه على فيه يأمر ابن كامل بالسكوت والكف عن عدى فقام عدى راضيًا عن المختار ساخطًا على ابن كامل يشكوه عند من لقى من قومه .

١٩ - مرة بن منقذ بن النعمان العبدى (لعنة الله عليه) :

وهو رجل من عبد القيس (وكان رهط هذا الرجل مشهورون بكراهيتهم لقريش وهم مشهورون بالفروسية وكان منهم الزير سالم (أحد فوارس العرب المشهورين في الجاهلية وكان جدًا للفرزدق الشاعر من جهة الأم) وعشرين امرأة حمت السيدة عائشة أم المؤمنين من البصرة إلى المدينة المنورة عقب موقعة الجمل بأمر الإمام علي بن أبى طالب) وكان قد قتل علي الأكبر بن الحسين ، وقام المختار بن أبى عبيد بإرسال عبد الله بن كامل له وكان شجاعًا فأتاه ابن كامل فأحاط بداره فخرج إليهم وبيده الرمح وهو على فرس جواد فطعن عبيد الله بن ناجية الشامى فصرعه ولم يضره (وكان عبيد الله مع عبد الله بن كامل) وأخذ يضربه ابن كامل بالسيف فيتقيه بيده اليسرى فأسرع فيها السيف وتمطرت به الفرس فأفلت ولحق بمصعب وشلت يده بعد ذلك .

٢٠ - زيد بن رقاد (لعنة الله عليه) :

وبعث المختار أيضًا عبد الله الشاكري له كان يقول لقد رميت فتى منهم بسهم وإنه لواضع كفه على جبهته يتقى النبل فأثبت كفه في جبهته فما استطاع أن يزيل

كفه عن جبـهته ، قال أبو مخنف فحدثنى أبو عـبد الأعلى الزبيدى أن ذلك الفتى عبـد الله بن مسلم بن عـقيل وأنه قـال حيث أثبت كـفه في جـبهتـه اللهم إنهم استقلونا واستـذلونا اللهم فاقتلهم كما قتلونا وأذلهم كـما استذلونا ، ثم إنه رمى الغلام بسـهم آخر فقتله فكان يقـول جئته مـيتًا فنزعت سهمى الذى قـتلته به من جوفه فلم أزل أنضنض السهم من جبهته حتى نزعته وبقى النصـل في جبهته مثبتًا ما قدرت على نزعـه فلما أتى ابن كامل داره أحاط بها ، واقـتـحم الرجـال عليه فخرج مـصلتا بسيفه وكـان شجاعًا فقال ابن كامل لا تـضربوه بسيف ولا تطعنوه برمح ولكن ارموه بالـنبل وارجموه بالحـجارة ففـعلوا ذلك به فسقط ، فـقال ابن كامل إن كان به رمق فأخـرجوه فأخرجوه وبه رمق فدعا بنار فـحرقه بها وهو حى لم تخرج روحه .

٢١ - عمرو بن صبيح الصدائي (لعنة الله عليه) :

وهو من قـبيلة صـداء (وهى من أول القـبائل التى ارتدت عن الإسـلام في اليمن) وكان يقول لقد طعنت بعضهم وجـرحت فيهم وما قتلت منهم أحدًا فأتى ليلاً وهو على سطحه وهو لا يشعر بعدما هدأت العيون وسيفه تحت رأسه فأخذوه أخذًا وأخذوا سيفه فقال : قبحك الله سيفًا ما أقربك وأبعدك فجيء به إلى المختار فحبسه معه في القصر .

فلما أن أصـبح أذن لأصحـابه وقيل ليدخل من شـاء أن يدخل ودخل الناس وجيء به مقيدًا فقال : أما والله يا معشر الكفرة الفجرة أن لو بيدى سيفى لعلمتم أنى بنصل السيف غيـر رعش ولا رعديد ما يسرنى إذا كانت منيتى قـتلا أنه قتلنى من الخلق أحد غـيركم لقد علمت أنـكم شرار خلق الله غيـر أنى وددت أن بيدى سـيفًا أضـرب به فـيكم ساعـة ثم رفع يده فلطم عين ابن كـامل وهو إلى جنبـه فضـحك ابن كامل ثم أخـذ بيده وأمسكهـا ثم قال إنه يزعم أنه قـد جرح في آل محمد وطعن فمرنا بأمرك فيه فقال المختار على بالرماح فأتى بها فقال اطعنوه حتى يموت فطعن بالرماح حتى مات .

وروى الطبرى قتل الكثير منهم وهروب البعض منهم كالجبناء وحسابهم على الله يوم القيامة .

واكتفينا بذلك الحـديث ومن أراد الاستفاضة فيعـود للطبرى - الجزء الخامس وقد قتل منهم المختار ٧٨٠ قتيلاً .

أما عن المختار فهو :

المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي :

ولد المختار في السنة الأولى من الهجرة لعام ١ هـ الموافق عام ٦٢٣ م ولقب أحيانًا بكيسان لأنه تلقى العلم عن كيسان مولى علي بن أبى طالب وقد عاش يتيمًا بعد استشهاد أبيه أبو عبيد بن مسعود الثقفى في موقعة الجسر عام ١٤ هـ ٦٢٣٥ م وكان فارسًا مغوارًا ، فرباه عمه سعد بن مسعود الذى تولى على المدائن منذ عام ٣٨ هـ الموافق عام ٦٥٩ م وظل فيها حتى عزله معاوية بن أبي سفيان في عام ٤٢ هـ الموافق عام ٦٦٢ م ، ثم انضم للشيعة بعد مأساة كربلاء وكان قد فتح داره لمسلم بن عقيل بن أبي طالب وبايعه وساعده ثم قبض عليه بعد قتله وألقاه في السجن ثم شفع فيه زوج أخته عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ثم انضم لابن الزبير بن العوام واستمر معه حتى اختلف معه وغادره وذهب إلى العراق مرة أخرى وتقابل مع التوابين وحدث ما ذكرناه حتى ما انتهى المختار بكذبه بعد ذلك في شوال عام ٦٧ هـ الموافق أبريل عام ٦٨٧ م ، بعد أن أنهى عليه مصعب بن الزبير بن العوام وقد قتل على يد غلامين من أهل الكوفة (وذلك لطوله الفارط) وعادت العراق لبنى الزبير حتى ضمها الأمويون بعد موقعة مسكن في عام ٧١هـ ٦٩٠ م على يد عبد الملك بن مروان .

يفسر الطبرى قتل قتلة الحسين هو أمر الإمام محمد بن علي بن أبى طالب شقيق الحسين لهم فقد كان يتعجب كيف يجالس المختار بن أبى عبيد الثقفى قتلة الحسين عليه السلام ، ويدعى أنه شيعة لهم (ولكن المختار كذاب على طول الخط فهو الذى أشار على أن يسلم الحسن لمعاوية بن أبى سفيان كما سبق وأن أسلفنا في حياة الحسن وكان يضرب الشيعة الذين كانوا يسبون عثمان في حضرته) .

الحسين عليه السلام في الميزان :

لقد مضى الإمام الحسين رضى الله عنه إلى رحاب ربه راضيًا مرضيًا ، ولكنه ما زال في ضمائر الناس حيًا بمآثره ومناقبه ، ماثلاً في قلوبهم بأخلاقه الطاهرة وآدابه الطيبة وسيرته الذكية .

فمن صفاته الماثلة الباقية ما رواه ابن عساكر في تاريخه عن أبى هشام القناد أنه كان يحمل إلى الحسين بالمتاع من البصرة ولعله لا يقوم حتى يهب عامته .

ويقول ابن عساكر أيضًا : أن سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فقرع الباب وأنشأ يقول :

لم يخب الآن من رجائك حرك دون بابك الحلقة
أنت ذو الجود أنت معدنه أبوك قد كان قاتل الفسقة

وكان الحسين واقفًا يصلى فخفف من صلاته وخرج إلى الأعرابي ، فرأى عليه أثر ضر وفاقة ، فرجع ونادى بخادمه فأجابه : لبيك يا ابن رسول الله .

قال : ما تبقى معك من نفقة ؟ قال : مائتا درهم أمرتنى بتفرقتها في أهل بيتك ، فقال : هاتها ، فقد أتى من أحق بها منهم ، فأخذها ودفعها إلى الأعرابي .

ويروى النسيابوري في كتابه غرائب القرآن ورغائب الفرقان قصة أشبه بذلك فيقول : أن أعرابيًا سأل الحسين بن علي رضى الله عنهما حاجة ، وقال سمعت جدك ﷺ يقول : « إذا سألتم عن حاجة فاسألوها من أحد أربعة : إما عربيًا شريفًا ، أو مولى كريمًا ، أو حامل القرآن ، أو صاحب الوجه الصبيح » فأما العرب فشرفت بجدك وأما الكرم فدأبكم وسيرتكم وأما القرآن ففى بيوتكم نزل ، وأما الوجه الصبيح فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أردتم أن تنظروا إلي فانظروا إلى الحسن والحسين رضى الله عنهما » .

فقال الحسين عليه السلام : ما حاجتك ؟ فكتبها على الأرض ، فقال الحسين رضى الله عنه : سمعت أبى عليًا يقول : قيمة كل امرىء ما يحسنه وسمعت جدى ﷺ يقول : « المعروف بقدر المعرفة » فأسألك عن ثلاث مسائل إن أحسنت في جواب واحدة فلك ثلث ما عندى ، وإن أجبت عن اثنتين فلك ثلثا ما عندى، وإن أجبت عن الثلاث فلك كل ما عندى وقد حمل إلى الحسين صرة مختومة من العراق .

فقال الأعرابى : سل ولا قوة إلا بالله ، فقال رضى الله عنه : أى الأعمال أفضل ؟ قال الأعرابى : الإيمان بالله ، قال الحسين رضى الله عنه : فما نجاة العبد من الهلكة ؟ قال الأعرابى : الثقة بالله ، قال الحسين رضى الله عنه : فما يزين المرء ؟ قال الأعرابى : علم مع حلم ، قال رضى الله عنه : فإن أخطأ ذلك ؟ قال الأعرابى : فمال معه كرم ، قال رضى الله عنه : فإن أخطأ ذلك ؟ قال الأعرابى : فنصر معه صبر . قال رضى الله عنه : فإن أخطأ ذلك ؟ قال

الأعرابى : فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه . فضحك الحسين رضى الله عنه ورمى بالصرة إليه .

والحسين كان في الدين والفقه له باع كبير عن أخيه سيدنا الحسن رضى الله عنه حيث يؤثر عنه أنه حج خمسًا وعشرين حجة ماشيًا ، وفي شهر رمضان كان يختم القرآن .

ويروى عن الحسين أحاديث شريفة وهى أحاديث قوية عن أخيه سيدنا الحسن رضى الله عنه وإن لم تكن كثيرة ويحتمل أن سبب ذلك هو أنه عاش فترة عن سيدنا الحسن فتطور فيها الفقه .

١ - وروى مروان بن سالم عن طلحة بن عبد الله بن كريز عن الحسين بن علي عن النبي ﷺ قال : « أمان لأمتى من الغرق إذا ركبوا في الفلك بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] . بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم ، وفي هذه الآية دليل على ذكر البسملة عند ابتداء كل فعل ، كما بيناه في البسملة ، والحمد لله .

٢ - عن الحسين بن علي رضى الله عنهما قال : سمعت جدى رسول الله ﷺ يقول : « أد الفرائض تكن من أعبد الناس وعليك بالقنوع تكن من أغنى الناس ، يا بنى إن في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبًا » ثم تلا النبي ﷺ ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ ولفظ صابر يمدح به وإنما هو لمن صبر عن المعاصى ، وإذا أردت أنه صبر على المصيبة قلت صابر على كذا .

٣ - عن الحسين بن علي عن النبي ﷺ قال : « ما من مسلم يصاب بمصيبة فيذكرها وإن طال عهدها ، فيحدث لذلك استرجاعًا إلا جدد الله له عند ذلك فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب » .

٤ - وأخرج أحمد وأبو داود وابن أبى حاتم عن الحسين بن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « للسائل حق وإن جاء على فرس » .

٥ - عن الحسين بن علي رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي » .

وكان الحسين بصفته راويًا للأحاديث الشريفة لجده صلوات الله عليه وتسليمه كان فقيهًا يؤخذ برأيه في التفسير فمثلاً فسر (أنى) بمعنى (كيف) ككلمة مذكورة في القرآن الكريم بشكل مستمر .

وكذلك تأملاته ، فيروى عنه قصة قالها في جناح الجرادة وما هو مكتوب عليها وهذا ما أخرجه الطبرانى وإسماعيل بن عبد الغافر الفارسى في الأربعين والبيهقى عن الحسين بن على قال : كنا على مائدة أنا وأخى محمد ابن الحنيفة ، وبنى عمى عبد الله بن عباس وقثم ، والفضل ، فوقعت جرادة فأخذها عبد الله ابن عباس ، فقال للحسين : تعلم ما مكتوب على جناح الجرادة ؟ فقال : سألت أبى فقال : سألت رسول الله ﷺ فقال لي « على جناح الجرادة مكتوب : إنى أنا الله لا إله إلا أنا رب الجرادة ورازقها ، إذا شئت بعثتها رزقًا لقوم ، وإن شئت على قوم بلاء » . فقال ابن عباس : هذا والله من مكنون العلم .

وكذلك اتجه الحسين إلى تحقيق القصص القرآني فأخذ منه قصة سيدنا يحيى عليه السلام كاملة وهذا ما رواه عنه ابن عساكر : كان ملك من هذه الملوك مات وترك امرأته وابنته فورث ملكه أخوه ، فأراد أن يتزوج امرأة أخيه ، فاستشار يحيى بن زكريا في ذلك ، وكانت الملوك في ذلك الزمان يعملون بأمر الأنبياء ، فقال له : لا تتزوجها فإنها بغى ، فعرفت تلك المرأة أنه قد ذكرها وصرفه عنها ، فقالت : من أين هذا حتى بلغها أنه من قبل يحيى ، فقالت : ليقتلن يحيى أو ليخرجن من ملكه ، فعمدت إلى ابنتها وصنعتها ، ثم قالت : اذهبى إلى عمك عند الملأ فإنه إذا رآك سيدعوك ويجلسك في حجره ، ويقول سلينى ما شئت ، فإنك لن تسألينى شيئًا إلا أعطيتك ، فإذا قال لك ذلك فقولى : لا أسأل إلا رأس يحيى ، قال : وكانت الملوك إذا تكلم أحدهم بشيء على رؤوس الملأ ثم لم يمض له نزع من ملكه ، ففعلت ذلك ، قال : فجعل يأتيه الموت من قتله يحيى ، وجعل يأتيه الموت من خروجه من ملكه ، فاختار ملكه فقتله ، قال : فساخت بأمها الأرض ،وكان الإمام الحسين رضى الله عنه متأثرًا بسيرة نبي الله يحيى بن زكريا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ومن صفات سيدنا الحسين أن له شعر كثيف وأنه لم يشب حتى ما تخطى الخمسين من عمره وكان متأنقًا في مظهره حيث كان يرتسم في ملبسه . وقد اتجه سيدنا الحسين كذلك إلى الشعر حيث أنه كان يربى قيس بن ذريح - كما ورد في

كتاب الأغانى - ويعلمه من فصاحته وكان من شعره :

سيرة الله من الخلق أبي بعد جدى وأنا ابن الخيرتين
عبد الله غلاما ناشئًا وقريش يعبدون الوثنين
جدى شمس وأمى قمر وأنا الكوكب بين النيرين

أما عن سيدنا الحسين وملحمة كربلاء التى انتهت باستشهاده فالمؤرخون لهم عدة آراء اختلف فيها العديد فيذكر المؤرخ ابن خلدون عنه « رأى الحسين أن الخروج على يزيد متعين من أجل فسقه لا سيما أن له القدرة على ذلك ، وظنًا من نفسه بأهليته وشوكته ، فأما الأهلية فكانت كما ظن وزيادة ، وأما الشوكة فغلط يرحمه الله فيه ، لأن عصبية مضر كانت في قريش وعصبية قريش في عبد مناف وعصبية عبد مناف إنما كانت في بني أمية » .

ويعلل ذلك ابن خلدون أن العصبية في بني أمية هو انشغال الناس بأمر الإسلام فاعتقدت ظنًا أنها العصبية في بني هاشم ، على الرغم من أن هذا الرأى سليم إلا أنه خطأ في الشق الثانى فلم تكن العصبية قبل الإسلام أو حتى وفاة الرسول ﷺ في بنى أمية بل كانت بالعكس في بنى هاشم فالعباس كان الحاكم الرسمى لمكة المكرمة والفعلى ولكنه لأنه كان يخفى إسلامه لم يظهر له دور مع كفار مكة إبان حربهم للرسول ﷺ سواء في مكة أو حتى في المدينة فظهر دور أبي سفيان بن حرب ومن معه بنى أمية لأنهم غير مسلمين والذى يؤكد على ذلك أن بني عبد الدار كانوا يحملون اللواء للجيش المكى الذى كان يحارب الرسول ﷺ فأين بنى أمية من هذا ؟ كان بنى أمية دورهم ليس هو القيادة بل هو الحث لحرب المسلمين وكذلك لانتزاع السيادة من بنى هاشم .

وإذا افترضنا على رأى ابن خلدون لكان قد طلب أبو سفيان مثلاً بالخلافة بعد وفاة الرسول فهو صاحب الحق في السيادة لكن الدليل من التاريخ بين وهو ما يضحكك ويبكيك أن أبا سفيان هو الذى كان يحث عليًا كرم الله وجهه (والد سيدنا الحسين) في طلب الخلافة ، فبالله عليك كيف يترك أبو سفيان حكمه وهو الذى فكر العباس في أن يجعل الرسول ﷺ يجامله ويهدئ من روعه بعد فتح مكة المكرمة .

وإذا كانوا كذلك لما تركوها شورى لأبى بكر وعمر وانتظروا حتى ما رفعهم عثمان بن عفان (وهنا أذكر أن عثمان هو الذى وضعهم في هذه المكانة حتى

طمحوا فيها واعتقدوا أن عليًا يتكالب عليها ويتصارع عليها ويريد أن ينهى حكمهم فحاربوه وهذا ما حدث في الصراع بين علي ومعاوية) أو ما انتظروا حرب علي بن أبي طالب مع معاوية أو كان علي تنازل لهم بمحض الإرادة كاملة لأنهم أصحاب الحق الشرعى في الخلافة .

هذا خطأ جسيم وقع فيه ابن خلدون من تقليل سيادة بنى هاشم وجعلهم منزلة أدنى من أقرانهم من بني أمية كان من الأدق أن يقول أن الأمويين تمكنوا من الخلافة ومن الصعب المطالبة به بعد أن مهد له عثمان رضى الله عنه بقصد أو دون قصد منذ ستة وثلاثين عامًا فهنا الحق ضاع من جراء الإهمال ، ولكنه قال أن الحسين ليس له الحق بالعصبية هذا حديث خاطىء فهو أحق لها فجده أبو طالب لأبيه كان حاكمًا على مكة المكرمة بعد وفاة أخيه الزبير بن عبد المطلب (وكان حاكمًا لمكة المكرمة بعد وفاة أبيه مدة عشرون عامًا) واستمر فيها حتى تنازل طواعية لأخيه العباس بن عبد المطلب ، فهذا حق له أن يطالب بالخلافة بالعصبية وفوق ذلك فهو حفيد الرسول ﷺ من فاطمة الزهراء التى حافظت على نسل أبيها الشريف .

ولكن ابن خلدون على الرغم من خطأه اعتبر الحسين مجتهدًا ولم يكن يقصد ضررًا بالمسلمين ، وهذا رأى صحيح .

أما الدكتور أحمد شلبي (موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - الجزء الثانى ص ٢٠٨) يستعين بالأشعري ويقول : إن تفكير الحسين ليس ذلك بل هو « رأى صرح بنى أمية لا يزعزعه إلا تضحية جسيمة ، فجعل من نفسه وآله هذه التضحية وهذا الفداء ، ليثير الناس على قاتليه ، فيقضى بذلك على هذا الصرح، وينقذ المسلمين من نظام توارث السلطة ، وسواء خطر ببال الحسين أو لم يخطر فإن النتيجة كانت مطابقة لهذا الاتجاه وكان دم الحسين هو المعول الذى قوض الحكم الأموى » وذلك على أساس اقتناع الدكتور أحمد شلبى بأن الحسين يطمح في الخلافة .

ويصف مؤرخ إنجليزى ويلهزين well haussen بأن الحسين شبيه بآنية الفخار التى اصطدمت بالحديد فقد طلب أشياء كثيرة في الوقت الذى لم يقدم الكثير وبمجرد اصطدامه بأول مقاومة أراد الانسحاب فاكتفى بأن ينظر إليهم دون أى يبدى أية مقاومة .

هذا رأى خاطىء جداً فالحسين لم يكن كـذلك ولـم يطمح الحسين في الخلافة وقد أصاب الأستاذ طارق جهلان في كتـابه الحسين وملحمة كربلاء حيث قال بأن الحسين لم يطمح في الخلافة والدلالة على ذلك كان اسـتغل حادثة ثورة حجر بن عدى الكندي في الكوفـة ضد معاوية بن أبي سـفيان وقام هو بالثـورة في الحجاز وأشعل النار ما دام هو مندفع في رأى المؤرخـين ويضحى بأبسط الوسائل والأدهى من ذلك فقـد حارب مع يزيد قاتله في القـسطنطينية ولـم يخـرج عن الطاعة طيلة الوقت وكان يقبل جـوائز معاوية لكنه رفض أن تكون الخلافة وراثية كـما كان هو متخيلها في الصراع بين علي ومعاوية فحتى لو ادعينا أنه كان يحارب يزيداً ليجعل الخلافة وراثية في آل بيته فهذا كما عرضناه فهو حق له لكنه لم يطالب به لأنه رأى كمـا رأى أخوه أن الخـلافة كـانت حقًا لمعـاوية وأجمع عليـها المسلمـون في عام الجماعة عام ٦٦١ م - على الرغم من كرهه لذلك - ولكن عندما علم أن يزيد بن معاوية هو الخليـفة من أبيه لمجرد أنه ابن مـعاوية فهذا غيـر سليم وخاصة أن أول تجربة في هذا الموضوع في الإطاحة بالخلافة الشرعـية المبنية على الشورى وتحويلها إلى خلافـة وراثـيـة فكان من الصعب تقبـلها وخاصة أن مـعاوية قد أجبره على البيعة » .

المهم أن الحـسين لم يصمت بعـد معـاوية فأعلن ثورته التى تنادى فـي عرف المؤرخين بالعودة للخلافة المبنية على الشورى وليست على الإرث فعندما علم وهو في الكوفة أن التـشاور لم يتم له حيث وجـد أن القوم يطمحون في التـقرب إلى أصحاب المناصب الكبـرى وأن الزمن تغير وأضحت ليست هى الدنيا الـتى عرفها عندما كان الخليفة متقربًا لشـعبه مثلما حدث في الماضى ووجد الناس تخشى على قوت يومها وتهرب من الإصلاح أراد أن يبعـد عن هذه الأوضاع السيئة بأن يعيش في مكان بعـيد عن هذه الحيـاة العفنة التى رآها زاهداً في خـلافة على أناس غـير صالحين في نظره بعـد أن وجد أن الحرمات جـميعهـا قد انتهكت فلم تعـد الحياة تصلح لشيء فابن عـمه قتل وآل بيـته قتلوا وعذبوا ووضـعت الدنيا خليفـة فاسق ليس له في الأمر شيء لمجرد أنه ابن معاوية ولكن القدر لم يمهله فالخوف دومًا من الآخر وعدم الاطمئنان من الطرف القوى هو الذى دفـعه بالقيام بهذه المذبحة على اعتبار أن الحسين أضحى رجلاً غريبًا ينادى بمبادىء لم تعد موجودة وأنه يسبح ضد التيار لذلك قتل الحسين على أيديهم ووطئوا عليه خيله لكى ينهوا على بقايا العهد

القديم وهو العهد الذى ينادى بأن الخلافة شورى داخلين في زمن عبد الملك بن مروان وهو الصراع بين الإخوة على ولاية العهد ، والذى ما اتسم به القرن الثامن الميلادي حتى نهايته وليس العودة لجعل الخلافة شورى كما كان يحلم الحسين رضى الله عنه .

يتبقى لنا مسألة حيوية من نتائج حادث كربلاء وهى رأس الحسين أين انتقلت وجميع الآراء تؤكد على أن الرأس الشريف موجودة حاليًا بالقاهرة بعد انتقالها من عسقلان بفلسطين وقد تم انتقالها في عام ٥٤٨ هـ الموافق عام ١١٥٢ م على يد الوزير طلائع بن زريك (وهو أحد وزراء الدولة الفاطمية منذ عام ٥٤٤ - ٥٥٤هـ أى منذ عام ١١٤٩ حتى عام ١١٥٩ م ، وكان من أشهر ألقابه أبو الغارات ؛ لأنه كان يغير على أملاك الصليبيين بالشام ، وكان عراقيًا من أصل عربي ، وعاش في مصر حتى توفاه الله ، وأمر بدفن مثواه بالقرب من النيل ، وذلك لحبه لمصر ، ونهر النيل) [وهذا ما أكدته الدكتورة / سعاد ماهر في كتابها : أولياء الله الصالحين] .

ما رثي به الحسين عليه السلام :

يوم قتل الحسين عليه السلام تغيرت الطبيعة من حوله فقد بكت عليه السماء والأرض ، وكان بكاء السماء حمرتها .

وحكى جرير عن يزيد بن أبى زياد قال : لما قتل الحسين بن علي بن أبى طالب رضى الله عنهما احمرت له آفاق السماء أربعة أشهر .

قال يزيد : واحمرارها بكاؤها .

وقال محمد بن سيرين : أخبرونا أن الحمرة التى تكون مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين بن علي رضى الله عنهما (أى أن الحمرة أول ما ظهرت مع الشفق يوم قتل الإمام الحسين رضى الله عنه) .

وقال سليمان القاضى : مطرنا دمًا يوم قتل الحسين .

وعن ابن سيرين : لم تبك السماء على أحد بعد يحيى عليه السلام إلا على الحسين رضى الله عنه .

عن عيسى بن الحارث الكندى قال : لما قتل الحسين مكثنا أيامًا سبعة إذا صلينا العصر فنظرنا إلى الشمس على أطراف الحيطان كأنها الملاحف المعصفرة ونظرنا إلى الكواكب يضرب بعضها بعضًا .

عن الأسود بن قيس قال : احـمرت آفاق السماء بعد قتل الحسين سـتة أشهر ترى كالدم .

وعن حـماد بن زيد عن مـعمـر قـال : أول ما عـرف الزهرى أنه تكلم في مجلس الوليد .

فقـال الوليد : أيكم يعلم ما فعـلت أحجار بيت المقدس يوم قـتل الحسين ؟ فقال الزهري : بلغنى أنه لم يقلب حجر إلا وجد تحته دم عبيط (كثير) .

يضاف إلى ذلك الرؤيا التى رآها ابن عباس في المنام التى يخبر فيها النبي ﷺ بمقتـل الحسين عليه السـلام ، فعن ابن عـباس : رأيت رسـول الله ﷺ في النوم نصف النهار أشعث أغبر وبيده قارورة فـيها دم قلت يا رسول الله ما هذا ؟ قال : هذا دم الحسين وأصـحابه لم أزل منذ اليوم ألتـقطه فأحصى ذلك اليـوم فوجـدوه قتـل يومئذ [والحديث لعمار بن أبى عمار راوى هذا الحديث] .

وكذلك ما روى رزيـن حدثتنى سلمى قالت دخلت على السيـدة أم سلمة أم المؤمنين وهى تبكى قلـت : ما يبكيك ؟ قـالت : رأيت رسـول الله ﷺ في المنام وعلى رأسه ولحـيته التـراب فقلت : ما لك يا رسـول الله ؟ قال : شهـدت قتل الحسين آنفًا ، ونقل عنهـا أنه حين أتاها قتل الحـسين قالت : قد فـعلوها ملأ الله بيوتهم وقبـورهم ناراً ووقعت مغشية عليـها فقمنا وماتت بعـد منه بعدة أيام حزنًا وكمدًا على مـقتل الإمام الحسين رضى الله عنه ، وهى آخر من مـات من أمهات المؤمنين ومدفونة بالبقيع بالمدينة المنورة .

وقد رثى الحسين عليه السلام بالعديد من الأشعار منها شعر فاطمة بنت عقيل ابن أبى طالب التى رثتـه بقولهـا ومعهـا نساؤها وهى حـاسرة تلوى بثـوبها وهى تقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكـم ... ماذا فعلتم وأنتم آخـر الأمـم
بعترتي وبأهـلي بـعد مفتـقدي ... منهم أسارى ومنهم ضرجوا بـدم
ما كان هذا جزائى إذا نصـحت ... أن تخلفوني بسوء في ذوى رحمى

وقد رثته الجن قائلة له :

أيها القاتلون جهلاً حسـينًا ... أبشروا بالعـذاب والتنكـيل
كل أهل السماء يدعو عليـكم ... من نبي ومـلاك وقبـيل
قد لعنتم على لسـان ابن داود ... وموسى وحـامـل الإنجيـل

وأيضًا :

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش وجده خير الجدود

وأجابهم بعض الناس :

خرجوا به وفدًا إليه فهم له شر الوفود
قتلوا ابن بنت نبيهم سكنوا به ذات الخدود

وما أجمل ما رثي به الحسين رثاء سليمان بن قنة :

وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقابًا من قريش فذلت
فإن يتبعوه عائذ البيت يصبحوا كعاد تعمت عن هداها فضلت
مررت على أبيات آل محمد فألفيتها أمثالها حين حلت
وكانوا لنا غنمًا فعادوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغمي تخلت
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد اقشعرت

قوله : أذل رقابًا : أي لا يرعوون عن قتل قرشي بعده .

لما نزل السيل على قبر الحسين انمحى أثر القبر فجاء أعرابي فتتبعه حتى وقع على أثر القبر فبكى وقال :

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر

أولاده :

فأولاد الحسين هم علي الأكبر قتل مع أبيه وعلى زين العابدين وذريته عدد كثير وجعفر وعبد الله ولم يعقبا فولد لزين العابدين الحسن والحسين ماتا صغيرين ومحمد الباقر وعبد الله وزيد وعمر وعلي ومحمد الأوسط ولم يعقب ، وعبد الرحمن والحسين الأصغر والقاسم ولم يعقب ، وسكينة وفاطمة وكانت تزوجت فاطمة بنت الحسين ابن عمها الحسن بن الحسن بن علي بن أبى طالب وأنجبت منه عبد الله ، إبراهيم ، الحسن ، ثم خلف عليها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فأنجب منها محمد ، والقاسم .

أما عن أمهات أولاده فعلى الأكبر فأمه ليلى بنت عروة بن مسعود الثقفى . وعبد الله وسكينة أمهما الرباب بنت امرىء القيس . وعلى الأصغر (زين العابدين) فأمه من الفرس تدعى شاهى زنان بنت يزدجرد بن كسرى أنوشروان

(ملكة النساء) . وفاطمة وأمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله وكانت عند الحسن رضى الله عنه ، وجعفر وأمه قضاعية .

ومن شجرة سيدنا الحسين الطاهرة أتى الأئمة الاثنا عشر فقد أنجب محمد بن علي (زين العابدين) جعفر الصادق (الإمام السادس عند الشيعة) ثم أنجب جعفر الصادق ، موسى الكاظم (الإمام السابع عند الشيعة) وكان شقيقه إسماعيل تؤمه له الشيعة الإسماعيلية التى تتبعها القرامطة والفاطميين والدروز والإسماعيلية والحشاشين . . . إلخ .

أما عن موسى الكاظم فقد أنجب ، علي الرضا (الإمام الثامن عند الشيعة) وهو الذى تولى ولاية العهد بعد المأمون وهو أول من اتشح السواد التى اتخذها سنة الشيعة إلى يومنا هذا .

أما عن علي الرضا فقد أنجب : محمد الجواد (الإمام التاسع عند الشيعة) الذى أنجب بدوره على الهادى (الإمام العاشر عند الشيعة) الذى أنجب بدوره : الحسن العسكرى (الإمام الحادى عشر عند الشيعة) الذى أنجب آخر الأئمة عند الشيعة وهو محمد المهدى .

❊ ❊ ❊

الفهرس

